مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

تغير منسوب مياه نهر النيل وأثره على الحياة فى مصر حتى نهاية الدولة الوسطى

د. محمد السيد عبدالحميد
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ
كلية الآداب بقنا

تغير منسوب مياه نهر النيل وأثره على الحياة فى مصر حتى نهاية الدولة الوسطى[1]

أبحاث

د/ محمد السيد عبد الحميد[2]

مقدمـــة:

"مصر هبة النيل"[3] تلك العبارة -مهما كانت شهرتها وصحتها- التى أطلقها "هيرودوت" عندما زار مصر فى منتصف القرن الخامس ق.م[4]، وظل صداها يتردد حتى يومنا هذا[5]. قد أثارت ومازالت تُثير الكثير من التساؤلات أهمها ماذا لو لم يكن هناك نيل؟ وكيف تكون مصر وشكل الحياة فيها بدونه؟ وكيف سيكون حال المصريين بدونه؟.

كل هذه التساؤلات اعتراف صريح بالفضل العظيم للنيل قديماً وحديثاً فى تشكيل حياة مصر والمصريين[6]. فهو شريان الحياة وبدونه تُصبح مصر كلها جزءاً من

---

[1] ورقة قدمت إلى مؤتمر الفيوم الخامس الذى عقدته كلية الآثار – جامعة القاهرة – فرع الفيوم تحت عنوان "النيل ومصادر المياه فى مصر عبر العصور" فى الفترة من ٢ – ٤ من أبريل ٢٠٠٥ م.

[2] أستاذ تاريخ مصر والشرق القديم المساعد كلية الآداب – قنا – جامعة جنوب الوادى.

[3] راجع: هيرودوت: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجم الأحاديث عن الإغريقية محمد صقر خفاجة، قدم لها وتولى شرحها أحمد بدوى، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م، فقرة (٥)، ٧٤ ؛ وفى هذا الصدد يذكر الكتاب القدامى أن كلاً من هيرودوت وهيكاتيوس يطلق على مصر (هبة النيل)، يُرجح البعض أن هذه العبارة ترجع أصلاً إلي هيكاتيوس، وأنه أول من أشار إلى هذه الحقيقة، بينما الكلمات التمهيدية التي استخدمها هيرودوت في البداية تعني حقيقة أن هيكاتيوس قد قال هذا من قبل، لكن (سترابو) -رغم أنه من ضمن المؤلفين الذين أطلقوا العبارة على مصر كلها- يذكر أن هيرودوت فقط كمؤلف لهذه العبارة. J. G. Griffiths, Hecataeus and Herodotus on "A Gift of The River", in: JNES XXV (1966), 57-61; W. A. Heidel, Hecataeus& the Egyptian Priests in H. Book II, Memoirs of the American Academy of the Arts & Sciences Vol. XVIII, part 2, Boston 1935, p. 113 ff.

[4] أختُلف على تحديد سنة الزيارة مابين عام ٤٥٩ ق. م، أو عام ٤٥٥ ق. م، أو ٤٥٠ ق. م، أو ٤٤٥ ق. م، أو ٤٤٠ ق. م. وخلص البعض إلى تحديدها بفترة دون سنة، وهناك من حددها بالفترة من ٤٤٨ – ٤٤٥ق. م. أى فى منتصف القرن الخامس ق. م – فى زمن الملك الفارسى "ارتاكزرسيس الأول" ٤٦٤ – ٤٢٤ق. م- أى فى وقت كانت مصر مفتوحة للإغريق لأكثر من مائتى عام (محمد السيد عبد الحميد: الأعياد المصرية القديمة عند هيرودوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة هوية المكان (١٠)، القاهرة، ٢٠١٠م، ٢٨).

[5] Griffiths, op. cit., 58-59.

[6] عن فضل النيل والثناء عليه فى العصور القديمة، وبين المؤرخين والجغرافيين القدماء راجع: Diodore, I. 10; Pomponius Mela, I. 9; Pline, VII. 3.
عن أهمية نهر النيل ودوره فى بناء الحضارة المصرية ماديا راجع:

الصحراء الكبرى، ولا أبلغ من مقولة "جمال حمدان" بأن النيل جعل من مصر "قصراً فوق الرمال"[7]. مما يؤكد أثر النيل فى كل مناحى الحياة المصرية، وعلى وجه الخصوص كل أوجه النشاط والتفكير المصرى القديم سواء كان دينيا أو دنيويا[8]. وهذا يعنى أنه قام بالدور الرئيس فى تاريخ مصر والحياة المصرية[9]. بل لولاه لما وجدت مصر بتاريخها وحضارتها ولا وجد المصريون الذين عمروا فى هذا الوادى لآلاف طويلة من السنين[10]. فقد تميز بجاذبيته وتفرده عن الأنهار الأخرى بمظاهره الطبيعية، وبإيقاعه المنتظم، وبنشأة أقدم حضارات العالم القديم وأعرقها على ضفافه[11].

يُعتبر الماء فى الديانة المصرية القديمة هو أصل الحياة مثلما اعتبرته الديانات السماوية[12]، فقد كان بداية وأصل كل شيء[13]، وهناك ما يُشير إلى ذلك بوضوح فى نظريات الخلق المصرية، ففى إحداها خرج الكون من المحيط الأزلى -المياه الأبدية-

---

A. Erman, life in Ancient Egypt, Trans. by Tirard, M., New York (1987), 425ff.

عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩؛ وفاء محمد حسن: المياه فى الحياة اليومية فى مصر القديمة منذ أقدم العصور وحتى نهاية الدولة الوسطى، رسالة ماجستير - غير منشورة، كلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.

[7]جمال حمدان: شخصية مصر (دراسة في عبقرية المكان)،القاهرة، ١٩٨٥، ١٩٦.

[8]راجع: عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها،الجزء الأول، ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ٨٥،٨٦؛ مختار السويفى: مصر والنيل ، ط ٣، القاهرة، ١٩٩٦، ٣٥.

[9]جمال حمدان: المرجع السابق، 665.

[10]عبد العزيز صالح: المرجع السابق ٨٥،٨٦؛ مختار السويفى: المرجع السابق، ٣٥؛ ولمزيد من التفاصيل عن أهمية نهر النيل لمصر والمصريين راجع:

J. Ball, Contributions to the Geography of Egypt, Survey of Egypt, Cairo, 1952, 2 f.

مع التسليم بأهمية العبارة بأن "مصر هبة النيل" وبأنه لولا النيل ما كانت مصر، إلا أنه يجب الاعتراف بأنها لا تُمثل سوى نصف الحقيقة، التى لابد من اكتمالها بالقول بأن "مصر هبة النيل والمصريين"؛ لأنه لولا إبداع المصريين وتفاعلهم الإيجابي مع بيئتهم ما كان لمصر أن تكون، بل وما كان لنيل مصر أن يكون كما نعرفه الآن حجما ومجرى ووديا ودلتا ومصبا ودورا ونظاما ومكانة (حمدى أبو كيلة: النيل والمصريون دراسة فى التأثير المتبادل، الكتاب الأول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، ٩).

[11]رشدي سعيد: نهر النيل (نشأته واستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل)، ط ٢، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٣م، ٩-١٠، ١١١). عن وصف النيل وكونه من أعظم الأنهار المعروفة فى العالم القديم راجع:

R. Said, The River Nile Geology, Hydrology and Utilization, Oxford 1993;
A. Moret, Le Nil et la Civilisation Egyptienne, Paris, 1926, 31-32.

[12]H. Frankfort, Kingship and the Gods, Chicago, 196.

يقرر رب العزة سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم الحقيقة الهامة أن الماء هو أصل الوجود والحياة والكون إذ يقول: بسم الله الرحمن الرحيم" *وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون*" سورة الأنبياء الآية (٣٠).

[13]رائدل كلارك: الرمز والأسطورة فى مصر القديمة، ترجمة: احمد صليحة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ١٠٠.

"نون"[14]، ومنه برز التل الأزلى الذى أوجد المعبود الأول "أتوم" ، وفى أخرى قام المعبود "نون" بالدور الرئيسى كأحد أهم معبودات الخلق. ومن ثم يمكن القول إن الماء هو الحياة، وإن عدم وجوده يعنى الفناء[15].

مصادر دراسة تغير منسوب مياه نهر النيل:

تجدر الإشارة إلى أن دراسة تغير منسوب مياه نهر النيل حتى حوالى سنة ٣٠٠٠ ق. م كانت تعتمد بالدرجة الأولى على الأدلة الجيولوجية مثل:

- ارتفاع المصاطب التى خلفها النهر وراءه وهو ينحت مجراه أو يبنيه.
- دراسة رواسب النهر القديمة وما تضمنته من أدوات تركها الإنسان القديم.
- دراسة رواسب الشواطئ القديمة للبحيرات (منخفض الفيوم).

أما بعد سنة ٣٠٠٠ ق.م فإن الأمر -دراسة تغير منسوب مياه نهر النيل- قد اختلف عما كان عليه من قبل فقد اعتمدت تلك الدراسات على:

- ما تركه المصريون القدماء من مقاييس النيل كانوا يقيسون بها مناسيب النهر فى أماكن عديدة وعصور مختلفة، وكانت تعد من أهم أولوياتهم.
- الوثائق والسجلات التى تركوها عن مناسيب النهر.
- ما جاء على الآثار المنتشرة فى ربوع البلاد عن أحوال مصر خلال هذه الفترة.
- ما كتبه الرحالة والجغرافيون والمؤرخون سواء المعاصرون منهم كشهود عيان أو ما سمعوه عن أحوال مصر عبر تاريخها القديم[16].

مصر هبة النيل والفيضان:

بداية إذا كانت "مصر هبة النيل" فإنه يمكن القول وبشكل واضح وصريح لا لبس فيه إن "مصر هبة الفيضان"، وكذلك إذا كانت مصر علمياً هى النيل، فإن النيل بدوره ليس إلا الفيضان[17].

ومنذ أن التقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض واتحدا معاً فى نهر واحد[18] يعد من أطول أنهار العالم إذ يبلغ طوله من منبعه في الجنوب حتى مصبه في البحر المتوسط شمالا(شكل ١) ماراً بعشر دول أفريقية[19] نحو ٦٧٣٨ كيلو متر[20]- ولدت مصر من رحم

---

[14] أ. إرمان: ديانة مصر القديمة (نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة، ترجمه وراجعه: عبدالمنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، د. ت، ٣-١٠٤.

[15] المرجع نفسه، ١٠٤.

[16] رشدى سعيد: المرجع السابق، ص ١٥٤.

[17] جمال حمدان: المرجع السابق، ٦٦٥-٦٦٦؛ وراجع:
C. Palanque, Le Nil A L'Époque Son Rôle et son Culte en Égypte, Paris, 1903, 18.

[18] للمزيد من التفاصيل راجع: محمد محمود الصياد: النيل الخالد، المكتبة الثقافية (٥٣)، وزارة الثقافة والإرشاد القومى الإدارة الثقافية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢، ٥٣، ٦٧ وما بعدها؛ جيمس هنرى برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى العصر الفارسى، ترجمة: حسن كمال، مراجعة محمد حسنين الغمراوى، ط ٢، سلسلة الألف كتاب الثانى(٢٦٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ٩-١٠.

[19] جمال حمدان: المرجع السابق، ٩٠٥؛ برستد: المرجع السابق، ٩؛ ينبع نهر النيل من الجنوب عند دائرة عرض ٥٤ جنوب خط الاستواء ليصب فى البحر المتوسط شمالاً عند دائرة عرض ٣١ ٥ شمالاً، ويعتبر نهر كاجيرا وروافده المنبع الدائم لنهر النيل ويستمر فى جريانه نحو الشمال ليمر بعشر دول

الصحراء، لتبدأ رحلة النهر الطويلة نحو الشمال محافظاً على هذا الاتجاه[21]، وعلى خط طول واحد تقريبا، داخلاً الأراضى المصرية -بعد الشلال الأول[22]- عند خط عرض ٢٢° شمالا[23]، وتبدأ معه رحلة المصريين الطويلة والشاقة فى محاولة السيطرة على مجريات النهر ومياهه، وهو أمر بات واجباً إلى أقصى حد فى حياة المصريين بل مثل تحدياً كبيراً للمصرى القديم[24]، فكما تتباين الأقاليم المناخية عبر امتداده الطولى تتباين أيضاً كمية الأمطار[25] التى تسقط على كل إقليم؛ ففى حين تبلغ فى مناطق المنابع حوالى مئة سنتيمتر فى السنة، لا يزيد هذا المستوى فى بلد المصب عن سنتيمتر واحد فى السنة[26].

لم يظهر النيل فجأة بل سبقته إلى الوجود مجموعة نهرية قديمة جرى الاصطلاح على تسمية أكبر أنهارها باسم ur- nil أى النيل العتيق أو ما قبل النيل[27]، وكان يصب فى شمال غرب الفيوم وقد ثبت ذلك من خلال الرواسب وبقايا الحيوانات، ولم يتخذ النيل

تسمى دول حوض وادى النيل وهى: زائير- بوروندى- رواندا- تنزانيا- أوغندا- كينيا- إرتيريا- أثيوبيا- السودان- مصر، أما طوله فى مصر فيبلغ حوالى ١٥٣٦ كم مربع وينتهى بدلتا فرعها الشرقى فرع دمياط، والغربى فرع رشيد ليصب فى البحر المتوسط(جمال حمدان: المرجع السابق، ٨٨٠، ٨٩٤؛ برستد: المرجع السابق، ٩).

W. Willcocks., Egyptian Irrigation, 2ed, London, 1899, 27, 37.

[20]K. w. Butzer, the Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, VII, Cairo, 2001, 543, 551; Willcocks., op. cit., 37.

[21]خلال رحلة النهر نحو الشمال فى الأراضى المصرية توجد على جانبيه بعض الأودية الجافة جهة الشرق، والمنخفضات جهة الغرب أشهرها منخفض الفيوم. وكان للدلتا قبل زيارة هيرودوت سبعة أفرع للنيل صارت خمساً وقت زيارته وقد ذكر "هيرودوت" نفسه ذلك فى كتابه الثانى عن مصر، الفقرة العاشرة، والخامسة عشر، والسابعة عشر، وهى: الفرع البيلوزى، الفرع السايتى (السائيتى)، الفرع المنديسى، الفرع السبيليتى (السبنيتى)، الفرع الكانوبى، الفرع البولبيتى، لم يبق منها سوى الفرعين الحاليين وهما فرعى دمياط ورشيد، هذه الفروع التى ذكرها "هيرودوت" هى نفسها التى ذكرها "استرابون" فى القرن الأول الميلادى، و"بطلميوس" فى القرن الثانى بعد الميلاد، وإن كان من اختلاف بينهم فهو تحريف فى الأسماء، أو فى بعض التفاصيل (محمد محمود الصياد: المرجع السابق، ٨١-٨٣؛ سليمان حزين: تاريخ الحضارة المصرية، م ١. (العصر الفرعونى)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ص ٩-١٠)، ولم تكن الدلتا دائما كذلك، وإنما كانت كدالات الأنهار جميعا فى بداية أمرها أرضا كثيرة المناقع لم تتحدد فيها مجرى الماء. راجع: (محمد محمود الصياد: المرجع السابق، ٨١؛ عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ٨٦؛ مختار السويفى: مصر والنيل، ٣٥؛ رشدى سعيد: المرجع السابق، ٨٧)؛ وعن فروع النيل القديمة فى العصور القديمة راجع:

O. Toussoun, Anciennes Branches du Nil, I, Epoque Ancienne, Le Caire, 1922, 1-57.

[22]Moret, op. cit., p. 32; Willcocks, op. cit., 37.

[23]محمد محمود الصياد: المرجع السابق، ٧٩.

[24]Willcocks, op. cit., 37.

محمد محمود الصياد: المرجع السابق، ٩٢؛ مختار السويفى: المرجع السابق، ٢٦.

[25]وعن المطر فى مصر القديمة راجع: محمد عبدالرحمن الشرقاوى: المطر فى الفكر المصرى القديم، مجلة كلية الآداب - جامعة المنوفية، فبراير ٢٠٠٥، ٣-٣٩.

[26]برستد: المرجع السابق، ٩؛ مختار السويفى: المرجع السابق، ٢٦.

[27] نيقولا. جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتى، مراجعة زكية طبوزاده، ط ٢، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣، ٢٥؛ ولمزيد من التفاصيل عن الأنيال الأولى بمصر، ونهر ما قبل النيل، والنيل الحديث راجع: رشدى سعيد: المرجع السابق، ٥٣-٧٢.

مجراه الحالى إلا فى عصر الميوسين الأعلى. واستمر النيل يشق طريقه إلى الشمال بين نحت وإرساب طوال عصر البلايوسين وأوائل عصر البلايستوسين، وأخذ يستخلص دلتاه من البحر شينا فشينا ويبنيها برواسبه[28].

وبدأ النيل أهم مراحله أثرا فى الحضارة المصرية فى أواخر العصر الحجرى القديم الأوسط مُذ تفتحت له آفاق النحت والنقل من رواسب الجنوب[29]، فحمل الغرين الدسم منها، وغطى به الحصباء والرمال الخشنة القديمة فى واديه ودلتاه شينا فشينا[30]، وردم به مناقع واسعة صادفته فى أنحاء متفرقة من البلاد لتكون أرض مصر الخصبة[31]. كما أن أحوال المناخ وتقلباته قد حددت كمية المطر التى تسقط على منابع النهر وبالتالى كمية المياه التى حملها عبر تاريخه[32].

تقديس النيل وعبادته:

قام الدين بالدور الأكبر فى حياة المصريين العامة والخاصة، إلى الحد الذى يمكن معه القول إنه لا توجد قوة أثرت فى حياة المصرى القديم مثل قوة الدين؛ فقد تركت بصمة واضحة فى كل مجالات حياته، حتى وُسمت الحضارة المصرية بأنها حضارة دينية[33]. وإذا كانت العبادة فى العصور القديمة قد نشأت من الرغبة والرهبة التى كانت تسيطر على الإنسان القديم من مظاهر الطبيعة التى حوله، والتى يمكن أن تنفعه، أو تضره[34]. فقد كان للنيل وفيضانه عند المصرى القديم كلا الغرضين معا؛ فهو مصدر لكل الخصوبة والحياة على أرضه، ومصدر كل الثروة والخير الذى يعيش عليه[35]، كما أنه لم يكن دائما مسالما فيمكن أن يأتى عاليا، وهو هنا مصدر رهبة لدى المصرى القديم؛ ومن ثم سيطر على تفكيرهم وساعدهم فى تشكيل معتقداتهم الدينية والأخروية. فأرادوا أن يسترضوه ويتقربوا إليه لكى يستمر فى فيضانه، ولا يغيب عنهم فتنتهى حياتهم ولا تبقى لهم باقية. لذلك كان لابد من التفكير فى معبود يستعطفونه لكيلا يدمرهم فتجمعت لديهم الفكرتان السابقتان معا، وفكرا فى معبود[36] يسيطر على هذا المصدر الهام فى

---

[28] عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٥٢، ٥٣؛ جمال حمدان: المرجع السابق، ٩٦.

[29] جمال حمدان: المرجع السابق، ١٩٦.

[30] Erman, life in Ancient Egypt, 425.

[31] رشدى سعيد: المرجع السابق، ٧٢، ٧٣.

[32] المرجع نفسه، ٩٨، ١٠٦؛ عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٥٣؛ مختار السويفى: المرجع السابق، ٢٦.

[33] راجع: هيرودوت: فقرة (٤) ٧١-٧٢، فقرة (٣٧) ١٢٤.
K. w. Butzer, "Nil, LÄ IV, 482.

[34] Palanque, op. cit., 56-68.
ج. هـ. بريستد: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، مراجعة عمر الاسكندرى، على أدهم، سلسلة الألف كتاب (١٠٨)، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٠، ٣٦.

[35] Erman, op. cit., 425.
إ. إرمان، هـ. رانكه: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، محرم كمال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ٤٩٤، ٤٩٥؛ بريستد: فجر الضمير، ٣٦؛ وعن أشكال الخصوبة فى مصر القديمة راجع:
Baines, Fecundity Figures, London, 1985.

[36] Palanque, op. cit., 89-94.

حياتهم، وهو الفيضان؛ لكى يتقدموا إليه بآيات الطاعة والتقديس لكى يهب لهم الحياة متمثلاً فى الفيضان السنوى[37].

وتجدر الإشارة إلى أن النصوص المصرية القديمة سواء كانت الدنيوية[38] أو النصوص الدينية[39]. قد عبرت عن نهر النيل[40] بكلمتين الأولى: "حعبى" h^{C}py (أو كما هو دارج حابى) وهى تُشير إلى نهر النيل و"حعبى" هو المعبود الذى يختص بأمور النيل ومانه[41]، كما أنها كانت تُشير إلى الفيضان[42]؛ وهذا يعنى أن "حعبى" هو: ماء النيل (النيل)[43]، أو معبود النيل[44]، أو الفيضان[45]. أما الكلمة الثانية وهى: "إيترو" itrw فهى تعنى نهر النيل[46].

وعن السبب وراء اتخاذ المصرى القديم لمعبود يختص بالفيضان راجع:

De Kurth, Nilgött, LÄ IV, 486-490

[37]مختار محمد محمد: المعبود حعبى (فى الديانة المصرية القديمة). رسالة ماجستير - غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣، ٣٩-٤٠؛ وعن قداسة النهر راجع:

Ludwig. E, the Nile in Egypt." The life –Story of a River" Trans. By M. H. Lindsay, book 1 "The River Vanquished", London 1937, 24.

عَرَبَ هذا الكتاب "عادل زعيتر"، ونُشر ضمن سلسلة مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

[38]مثل: توجعات "إيبوور"، تنبوءات "نفرتى"، وقصة القروى الفصيح، ووصايا "خيتى الثالث" إلى ابنه "مرى كارع"، قصة "سنوهى"، تعاليم الموظف "سحتب إيب رع" أو "منتوحتب ابن حابى من عصرى "سنوسرت الثالث" و"أمنمحات الثالث"، أو التى وردت فى نقوش "سمنة" و"قمة"، ونقش "حنو" فى وادى الحمامات (وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٤٩).

[39]مثل: نصوص الأهرام أرقام 1553b-1554a (وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٤٩).

[40]See: C. Palanque, op. Cit., 56-68; Moret, op. cit., 32; J. Maspero, Histoire ancienne des Peuples de L'Orient Classique, T. I, Paris, 1953, 36; O. Toussoun, L' Histoire du Nil, T, I, de Mémoires T. 8, Le Caire, 1925, 1-2.

وعند الكتاب الكلاسيك الذين زارو مصر خلال تاريخها راجع:

Diodours, I. 19, 37; Odyssée, XIV, V. 258; Pomponius Mela, I. 1; Pline, V. X, 4.

[41]عن اسم المعبود، وأصوله الأولى، وتطوره، ومعنى الاسم، وعن المترادفات الأخرى التى أطلقت على الفيضان راجع:

A. Ernian, Wie heßt der Nil, ZÄS 44 (1907), 140-141; A. Gardiner, The Egyptian Name of the Nil, ZÄS 45 (1908), 114-115; De Buck, on the Meaning of the Name h^{C}py, Orientalia Nearlandica (1948), 1-22.

[42]H. Brugsch, Dictionnaire Géographique de la Ancien Egypt, Leipzig, 1879, 638; Moret, op. cit., 33.

[43]راجع: وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٥٠-٥٤.

[44]المرجع نفسه، ٥٤-٥٥.

[45]المرجع نفسه، ٥٥-٦٠.

[46]المرجع نفسه، ٦٠-٦٧. ولقد ثار جدل كبير حول اختصاص كلمة "حعبى h^{C}py وما تُشير إليه وعن الفرق بينها وبين كلمة "إيترو" itrw راجع:

Brugsch. Op. cit., 638; De Buck, op. Cit., 4.

ثالثاً: معبود النيل "حعبى":

يُعد "حعبى" واحداً من المعبودات ذات المكانة العليا فى الديانة المصرية[47] (شكل ٢)، ويؤكد هذا أنه توجد بمعابد مصر القديمة تماثيل ونقوش كثيرة تشير إلى أن فيضان النيل كان مقدساً، وكان يُرمز إليه بالمعبود "حعبى" -الذى كان حتى العصر الرومانى إلهاً ثانوياً[48]- وتنبع أهميته من أهمية وظيفته التى اختص بها وهى السيطرة على مصدر الحياة فى الأرض المصرية[49] إحضار الفيضان أو التسبب فى حدوثه، والفيضان بالنسبة للمصرى القديم كان بمثابة مصدر الخصوبة المتجددة[50]. وقد تعددت الألقاب والصفات التى أطلقت على هذا المعبود[51].

رابعاً: هيئة وشكل "حعبى":

أما عن الهيئة والشكل الذى صور عليه المصرى القديم "حعبى" فقد ظهر فى -هيئة غريبة- شكل مزدوج الجنس على هيئة إنسان يجمع بين الذكورة والأنوثة فى آن واحد[52]. وهما الصفتان اللازمتان لاستمرار الحياة وتجددها فكأنه تجدد من تلقاء نفسه، وهى الصفة المميزة للنيل وفيضانه[53]. ويُرجح أن هذه الهيئة الغريبة لـ"حعبى"- التى أثارت لغطاً كبيراً- كان دافعها الأساسى فكرة الوفرة، أى وفرة المياه، وبالتالى وفرة منتجات الأرض والرخاء[54]. وهى بالأساس مرتبطة بفكرة الخصوبة المتجددة[55]. ولعل

---

[47] عبدالحليم نور الدين: الديانة المصرية القديمة، ج ١، المعبودات، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٩، ١٨٦.
and See: R. Wilkinson, The Complete Gods and Goddesses of Ancient Egypt, Fribourg Suisse-Göttingen, 1994, 106 f; W. J. Jong, De Nijl en de god Hapi, De Ibis, Amsterdam 17 (1992), 83-86.

[48] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١١٥.

[49] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٧.

[50] ف. دوماس: حضارة مصر الفرعونية، ترجمة: ماهر جويجاتى، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة (٤٨)، القاهرة، ١٩٩٨، ٧٣٩؛ برستد: تاريخ مصر، ١٢-١٣.

[51] عن أهم الصفات والألقاب التى أطلقها المصرى القديم على "حعبى" راجع:
Palanque, op. cit., 89-94.

[52] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٧؛ عبدالحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠١، ٢١٨؛ إرمان: ديانة مصر القديمة، ١٨.

[53] White, Ancient Egypt, London, 1992, 33.
تبدو مظاهر الرجولة فى الوجه واللحية المعقوفة وباروكة الشعر، وظهور عضلات الذراعين والإزار الذى يرتديه، أما مظاهر الأنوثة فتبدو فى الصدر وترهل البطن وبروزها وتضخمها عند الوسط، وكذلك الأرداف الغليظة، ويعد المعبود " حعبى " أول معبود يصور فى هذه الهيئة المزدوجة وان كان قد اتبعته هيئات أخرى اتخذت نفس الشكل فيما بعد (عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٧؛ مختار محمد: المرجع السابق، ٤٣؛ باروسلاف تشرنى: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدرى، مراجعة محمود ماهر، سلسلة الثقافة الأثرية، مشروع المائة كتاب الأثرى (٦)، القاهرة، ١٩٨٧، ٢٣٨). وراجع:
A. El-Sawi, The Nile-God. An unusual Representation in the Temple of Sety I at Abydos, EVO 6 (1983), 7-13.

[54] De Kurth, Nilgott, LÄ IV, 486-490; A. El-Sawi, The Nile-God., 7-13.
عبد العزيز فهمى صادق: الموسوعة المصرية (تاريخ مصر القديمة وآثارها)، م ١، ١٩٧٣، ١.

[55] ف. دوماس: المرجع السابق، ٧٣٩؛ من الملاحظ أن كافة الهيئات التى اختصت بالتغذية وتقدمه القرابين قد اتخذت هيئة مشابهة تماما لـ"حعبى" (وذلك إذا لم تكن الهيئة المصورة أنثوية)، مثل هيئة Npri معبودة الحبوب، وW3d Wr الذى يمثل البحر، وكذلك الهيئات التى تمثل الطعام والقرابين مثل dF3 ,hw وغيرها (مختار محمد: المرجع السابق، ٤٢).

ما جاء في نقش المجاعة بجزيرة سهيل يتوافق تماما مع الفكرة ذاتها[56]. حيث يفيد بان "الكهفين[57] اللذين ينبع منهما النيل هما الثديان اللذان يسكبان كل الأشياء الطيبة"[58].

هذا وتدل الشواهد الأثرية على أن تصاوير وتماثيل "حعبى"[59] انحصرت فى شكلين رئيسيين:- الأول: يظهر فيها حاملا ماندة القرابين سواء من الأطعمة او القرابين السائلة[60]. الثانى: يظهر فيها وهو يقوم بعملية الوحدة الـ "سما تاوى" فى صورة هينتين لإله النيل الشمالى والجنوبى(شكل ٣)[61].

علاقة حعبى بالمعبودات الأخرى:

رغم دوره الهام فى الديانة المصرية القديمة[62]، فلم تذع شهرته بالقدر الكافى مثل المعبودات الكبرى (إلهاً ثانوياً)؛ ربما يرجع ذلك لسيطرة تلك المعبودات على اللاهوت المصرى القديم، كما لم يُعثر له على معبد رئيس يساويه بها[63]؛ مما يوحى بصغر مكانته فى اللاهوت المصرى القديم؛ ومع ذلك فقد كان من أكثر المعبودات المصرية التى دبجت الأناشيد لتمجيده ومدحه -وهذه الأناشيد محفوظة الآن فى المجموعات البردية بالمتحف

---

[56] محمد بيومى مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ٢، الإسكندرية، ١٩٨٨، ٣٨٩.

[57] أشارت نصوص عديدة إلى الكهف الذى ينبع منه الفيضان (عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٨).

[58] يُشاهد المعبود "حعبى" بمعبد فيلة فى منظرين الأول: واقفا، أما الثانى: فجاثيا على ركبتيه وفى كليهما يُرى على رأسه تاج من نبات البردى، ويضغط بإحدى يديه على ثديه فتخرج منه المياه، ويمسك بيده الأخرى إناء تخرج منه المياه أيضا (شكل ٤). وفى المنظرين ينزل الماء من الثدى، ومن الإناء على الأرض؛ ليتسبب فى الفيضان الذى يغمر الأرض لتحيا بعد مماته (مختار محمد: المرجع السابق، ٤٣، ٤٤).

[59] قام "Leibovitech" بدراسة لأهم تماثيل هذا المعبود، وهل كانت هذه التماثيل تمثله كإله.

Leibovitech, Gods of Agriculture an Welfare in Ancient Egypt, JNES 12 (1953), 73-113.

[60] هذا الشكل ذائع الصيت وخير شاهد على ذلك أنه موجود بمعظم المعابد المصرية (إرمان: ديانة مصر، ١٨) وراجع:

See: H. Junker, Das Göterdekert uber das Abaton, 1913, fig. 21-22.

[61] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٧- ١٨٨؛ ظهر المعبود "حعبى" على هذه الهيئة منذ الدولة القديمة، واستمرت حتى العصر الرومانى حيث ظهرت هيئة جديدة لمعبود النيل "نيلوس": وهى تمثله على هيئة رجل بدين ذى لحية وحوله ستة عشر طفلاً، والعدد ستة عشر طفلاً ربما دلالة وتعبيرا لأمنية الشعب لوصول منسوب الفيضان إلى ستة عشر ذراعا (شكل ٥)، وهذا دليل على أن الفيضان طيب وأن الرخاء سوف يعم. (أبو اليسر فرج: النيل فى المصادر الإغريقية، ط ١، القاهرة ١٩٩٥، ٦١-٦٢)؛ وعن علاقة معبود النيل بعلامة الوحدة (السما تاوى) راجع: (مختار محمد: المرجع السابق، ١٤٥-١٦٧).

[62] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٧- ١٨٨؛ عن دور المعبود حعبى فى الديانة المصرية، وعن مكانته عند المصرى القديم ونظرته إليه، والدور الذى كان يقوم به فى عقائده الدينية والأخروية راجع:

Palanque, op. Cit., 89-94.

[63] عُبد "حعبى" فى منطقة جبل السلسلة، وقرب منبع النهر. كما قدس فى العديد من المعابد الكبرى خارج أماكن عبادته الرئيسية (عبدالحليم نور الدين: الديانة المصرية القديمة، ١٨٧- ١٨٨)؛ وللمزيد من التفاصيل عن أماكن عبادة المعبود "حعبى" راجع: مختار محمد: المرجع السابق، ١٠٥-١١٠.

البريطانى- [٦٤]. كما ارتبط "حعبى" بالعديد من المعبودات كما لم يرتبط معبود من قبل[٦٥]، ومن أشهر المعبودات التى ارتبط بها "حعبى" المعبود "أوزير"، الذى يعتبر واحدا من أهم وأشهر المعبودات المصرية القديمة[٦٦]. و"إيزيس"[٦٧]، الشكل المؤنث من

---

[64] J.Assman, Nil hymnus, in: LÄ IV, 489-496.
تعتبر هذه الأناشيد أو التراتيل من أفضل الأمثلة التى توضح لنا بجلاء أهمية المعبود " حعبى " عند المصرى القديم، فهى تعطينا صورة واضحة عما كان يجيش فى صدر المصرى القديم تجاه معبوده الذى يسيطر على الفيضان أو المتسبب فيه، وحيث كان يحاول أن يعدد فى مثل هذه الأناشيد أفضال هذا المعبود على البلاد والمخلوقات كافة حتى على باقى المعبودات الأخرى، وقد نسجت هذه الأناشيد كشكر لهذا المعبود الذى كان يحمل له المصرى القديم كل تبجيل واعتزاز. راجع:
R. A. Caminos, Nilöpfer, LÄ IV, 498-500; Palanque, op. cit., 86-88; , j. R. Foster, " Thought Completes in Khety's " Hymm to the inundation, JNES 34 (1935), 21; Id., Hymn to the inundation Four Hieratic Ostraca, JNES 32 (1975), p. 301.

[65] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٧؛ وعن علاقة "حعبى" بالمعبودات الأخرى ومظاهر الصلة بينهما، والمحاولات الدءوبة من كهنة المعبودات الأخرى إضفاء صفاته على معبوداتهم راجع: (كلارك: المرجع السابق، ١٠٠).

[66] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٦-١٨٨؛ رشدى سعيد: المرجع السابق، ١١٥؛ ارتبط "حعبى ارتباطا وثيقا " بالمعبود "أوزير" الرمز الحى للنيل، وللخير الذى كان يأتى منه الفيضان، أى أنه كان تجسيدا لكل قوى الخصوبة فى الدنيا (كلارك: المرجع السابق، ٩٧)؛ ولذلك لم يكن غريبا أن يكون ربا للخصب والزرع، بل وربا للفيضان فى أحيان كثيرة(عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ٢٦٦-٢٦٧). بل هو ماء الفيضان ذاته" (Pyr. 388)، أو ينبع منه (Pyr. 844, 868). أى أنهما أصبحا شيئا واحداً. ولما لا فقد اتخذ "حعبى" من "أوزير" لقب "ون نفر"(إرمان: ديانة مصر القديمة، ٤٩). ومما يؤكد أن "حعبى" صار رمزا للخصوبة التى كان يمثلها "أوزير" أن أحد الأساطير ذكرت دوره فى إحياء "أوزير" مرة أخرى (مختار محمد: المرجع السابق، ٢٤٠، ٢٤٦؛ وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٧٠)؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذه العلاقة راجع:
Palanque, op. Cit., 95-107.

[67] الشكل المؤنث من "حعبى"، وإحدى زوجاته. وهذا يُفسر علاقة "إيزيس" بالفيضان، كما اعتقد المصرى القديم بأن الدمعة التى تسقط من عينيها هى التى تجرى إلى النهر فتسبب الفيضان كل عام Pausanias, X, 32,10; Ph. Derchain, Les Pleurs d'Isis et la Crue du Nil,) Chronique D'Égypte XLV no 89 (1970), 282-284; مختار محمد: المعبود حعبى، ٢٤٠، ٢٤٦؛ راجع: رحاب عبد المنعم عبد الصمد: القمر فى مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير - غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٣). وكان ذلك متفقاً مع بداية ظهورها فى صورة نجمة الشعرى اليمانية فى السماء التى كانت بشيراً بوصول الفيضان (Palanque, op. cit., p. 18-19). وظل المصريون يعبرون عن أن "إيزيس" هى صاحبة الفيضان، وهذه الليلة ظلت فى الوجدان المصرى عبر العصور، التى تعرف عند الفلاحين "بليلة الدمعة"، والتى توافق الثانى عشر من بؤونة من التقويم الزراعى، والتى كان يحتفل بها كل عام فى عيد مهيب يعم الوادى كله من شماله إلى جنوبه، وحتى العصر البيزنطى (Palanque, op. cit., 19.؛ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج ٤، ط ١، القاهرة، ١٩٥٩، ٢٢٠؛ مختار محمد: المعبود حعبى، ٢٥٠؛ رشدى سعيد: المرجع السابق، ١١٢-١١٣)، وبعد ذلك ربطت التعاليم المسيحية النيل بقوة السيد المسيح، وظلوا يحتفلون بعيد الفيضان فى صورة ما يعرف بعيد النيروز، والذى يبدأ مع بداية شهر "توت" (نفتالى لويس: الحياة فى مصر فى العصر الرومانى، ترجمة آمال الروبى، القاهرة، ١٩٩٧، ١٠٣؛ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ١١١-١١٢).

"حعبى"، و"مين"[68]، و"نون"[69]. إلا أنه كانت هناك آلهة أخرى مرتبطة بالفيضان مثل "إيمحتب" أو القمر[70]. وظل المصريون يعبدون النيل "حعبى" باعتباره معبود الخير، واستمر هذا الوضع حتى دخول الإغريق -"الإسكندر الأكبر"- مصر[71].

الفيضان فى اللغة:

والفيضان لغة وفقاً لما ورد فى لسان العرب: الكثير الغزير، تقول فاض الماء يفيض فيضاً وفيوضه وفيضاناً وفيضوضه أى كثر حتى سال على ضفة الوادى، والجمع فياض وفيوض، والفيض نهر مصر، ونهر فياض أى كثير الماء[72]. وفيضان النهر طغيان النهر واندفاعه حين ترفده الأمطار والسيول، وعكسها: نضب أى سال قليلا أو غيض أى قل[73].

وفي اللغة المصرية القديمة ورد تعريفان للفيضان فى قاموس برلين هما: "iwhw"[74] و "Wdnw"[75]. أما الأول "iwhw" فيشير إلى الفيضان أو بصورة أكثر تحديداً إلى الفيضان الذى يفيض خاصة على الأرض الزراعية. أما التعريف الثانى

---

[68] أهم رموز الخصوبة، وأهم معبودات الإخصاب عند المصرى القديم فهو "كاموت أف" أى الذى أخصب أمه (إرمان: المرجع السابق، ٤٢-٤٣). ويُرجح أن حرص النصوص على تصوير معبود الخصوبة الرئيسى "مين" قادماً من الجنوب إلى الشمال، إنما يرتبط فى الواقع بقدوم أهم عناصر الخصوبة لدى المصريين، وهو "حعبى" ممثلا لفيضان النيل من الجنوب إلى الشمال، وكان دور= "مين" فى التحول من حالة الموت "من خلال الإخصاب" إلى الحياة، هو نفسه دور المعبود "حعبى" الممثل للفيضان فى التحول من فصل الجفاف والموت إلى فصل الإنبات والحياة. ومن شواهد العلاقة بين "حعبى" و "مين" أن النصوص التى تتحدث عن قدوم المعبود "مين" من الجنوب، تصفه عادة أنه ذكى الرائحة عند قدومه من "مجاى" أو "بونت"، وهى نفس الرائحة الذكية التى كان يجلبها "حعبى" عند فيضانه من الجنوب (محمد السيد حسون: المعبود مين ودوره فى العقائد المصرية حتى نهاية الدولة الحديثة (رسالة دكتوراه - غير منشورة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٩، ٣٣٦ وما بعدها).

[69] ارتبط "حعبى" بالمعبود "نون" رب المياه الأزلية؛ على اعتبار ان الفيضان "حعبى" ينبع منه، ويستمد مياهه من هذا المحيط الذى اعتبرت مياهه نقية وطاهرة، كما اتخذ "حعبى" من المعبود "نون" صفة أبو المعبودات بصفته معبوداً أزلياً وأباً للمعبود "رع". كما جاء بالنص "نون محبوب حعبى أبو المعبودات"؛ ولهذه الصلة اعتبر "حعبى" هو "نون"، ويدعم ذلك تلك الإشارة من نصوص التوابيت جاء فيها: "أنا بداية المياه والفيضان ينبع منى". ومن ناحية أخرى اعتبر "نون" بمثابة "حعبى" الذى يفيض على الأرض المصرية الخاصة عند حدوث فيضان مرتفع فتصبح الارض وكأنها لجة مياه شاسعة تذكرهم بلجة المياه الأزلية؛ ولذلك فقد كان يطلق على هذا الفيضان "حعبى – نون" (راجع: مختار محمد: المرجع السابق، ٢٥٢-٢٦٠؛ تشرنى: المرجع السابق، ٤٤).

[70] W. Schenkel, " überschwemmung ", LÄ VI, 833.

[71] أبو اليسر فرج: المرجع السابق، ٦١-٦٢.

[72] لسان العرب: قاموس [ف ى ض]، ٧٦.

[73] المعجم الوجيز: قاموس [ف ى ض]، ٤٨٦.

[74] Wb. 1, 57, 9; Faulkner. R. O, Dictionary Of Middle Egyptian, Press (1962), 14.

[75] Wb. 1, 409, 10-11; Faulkner, op. cit., 76.

"Wdnw" فيدل على الفيضان بصفة عامة[٧٦]. وهو ما يعنى أن المصرى القديم لم يستخدم مصطلحاً واحداً للدلالة أو للإشارة إلى الفيضان.

وتجدر الإشارة إلى أن قاموس برلين قد أرجع الكلمتين iwhw و "Wdnw" إلى عصر الدولة الوسطى[٧٧]، وشاهد ذلك ما ورد بالنسبة للكلمة الأولى في إحدى خطابات "حقا نخت"، واللوحة الحجرية " لانتف بن مييت "[٧٨] أمير مقاطعة " أرمنت " من عصر الملك "منتوحوتب الثالث"[٧٩]، أما الكلمة الثانية فقد وردت فى قصة القروى الفصيح، وبردية اللاهون[٨٠].

ظاهرة الفيضان علمياً:

والمقصود بتغير منسوب مياه نهر النيل هو تذبذب كمية المياه التى يحملها الفيضان والقادمة من الحبشة مابين العلو والانخفاض. والفيضان ظاهرة كونية طبيعية موسمية، وهى عبارة عن ازدياد واندفاع مياه النهر عن معدله الطبيعى[٨١] نتيجة للأمطار الموسمية التى تتساقط على الهضبة الاستوائية والمرتفعات الأثيوبية وجنوب السودان[٨٢]، مما يؤدى إلى فيضان مستمر أسابيع عديدة[٨٣]. ويُرجح أن نظام الفيضان الحالى بدأ بمصر فى المرحلة الأخيرة من عصر البليستوسين[٨٤]. وهذا يعنى أن فيضان النيل ظاهرة حديثة نسبياً، حيث يرتبط بالنظام الموسمى وسقوط الأمطار على الحبشة، ووصولها إلى مصر بانتظام[٨٥].

ويبدأ النهر في الارتفاع تدريجياً بعد موسم الأمطار فى أثيوبيا منذ نهاية شهر مايو[٨٦] وأوائل شهر يونيه[٨٧]، ولكن هذا الارتفاع يزداد مع زيادة قوة تدفق المياه فى

---

[76] وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٧٠.

[77] Wb. 1, 57, 1-8.

[78] توجد هذه اللوحة حالياً فى المتحف البريطانى رقم ١٣٤ [١١٦٤] (وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٧١).

[79] سليم حسن: أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى، القاهرة، ١٩٤٤، ٤٢.

[80] وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٦١.

[81] جوده فتحى التركمانى: الجغرافيا العامة أصول ومبادئ، القاهرة، ٢٠٠٠-٢٠٠١، ٨١؛ برستد: تاريخ مصر، ١٢-١٣.
Palanque, op. cit., 18-19.
عن الفيضان فى كتابات المؤرخين والجغرافيين القدماء راجع:
Hérodote, II, 19-27; Diodore, I, 38-41; Strabon, XVII, 4-5; Pomponius Mela, I, IX; Pline, V, 10 (6-9); and see: O. Toussoun, L' Histoire du Nil, T, I, de Mémoires T. 8, Le Caire, 1925, 118-122.

[82] Schenkel, " Überschwemmung ", LÄ VI, 832.

[83] Ibid., 833.

[84] ابراهيم رزقانه: الجغرافيا التاريخية والطبيعية، القاهرة، ١٩٨٧، ٢٩.

[85] المرجع نفسه، ٤٤.

[86] جمال حمدان: المرجع السابق، ٦٦٦؛ وعن أوقات الفيضانات راجع:
Toussoun, op. cit., 120-122.

[87] ج. بوزنر وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: سيد توفيق، القاهرة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٦، ٣٤٤؛ برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ١٣؛ اتخذ المصرى من هذا التاريخ بداية للسنة فى التقويم المصرى القديم، وقد أشارت إليه النصوص على اعتبار أنه أول يوم فى السنة tp rnpt بمعنى رأس السنة أوwpt rnpt ويعنى فاتحة العام.
E. Drioton, Les Fetes Egyptiennes, Le Caire, 1944, 14-16.

النصف الأخير من شهر يوليه، ويصل إلى الذروة فى منتصف شهر سبتمبر حين تغرق الأراضى وتبدو -وفقا لما ذكره "هيرودوت"- كبحر تبقى فيه المدن كجزر بحر إيجة تُحيط بها المياه من كل جانب[88]. ويبلغ متوسط عدد أيام الفيضان (١١٠) أيام[89]. ومن نهايته تبدأ المياه فى الهبوط بسرعة[90]، وفى أكتوبر تستمر المياه فى الهبوط ببطء، وبعد هذا الشهر وفى منتصف شهر نوفمبر تبدأ المياه في التناقص بسرعة متزايدة حتى إنه فى شهر يناير يكون النهر قد عاد إلى مجراه الأصلى[91]. ويستمر فى النقصان حتى يصل أدنى مستوى له فى شهر يونيو عندما يقل عرض النيل إلى أقل من النصف، وتتحول مصر تحت أشعة الشمس الحارقة والرياح العاصفة إلى شبه صحراء[92]. وذلك كانت مراقبة النهر وقياس -تسجيل- مناسيبه عملاً مهماً يستوجب القيام به. هذا بالإضافة إلى أن لهذه المقاييس[93] أغراضا أخرى أهمها توصيل مياه الفيضان إلى المعبد لاستخدامها فى مراسم العبادة بعد الصلاة عليها[94].

وفى مصر يستغرق الفيضان عدة أسابيع بحسب حجمه وسرعته، ليقطع المسافة من أسوان إلى القناطر الخيرية[95]. وفى واقع الأمر، كما ذكر "جمال حمدان"، أن الفيضان يُعد أبرز وأهم ظاهرة في مانية هذا النهر ولولاه لكانت مصر صحراء جرداء مطلقة، ولولا الفيضان لكانت مصر النيل مجرد نهر فصلى هزيل، وهذا يعنى أن النيل هبة الفيضان هو الآخر"[96]. كما أن للفيضان -أيضاً- جوانبه التدميرية، فليس له سلوك محدد في ذبذباته العشوائية أو النكبائية. فأحياناً يبدأ مبشراً وواعداً ولكنه ما يلبث أن

---

[88] هيرودوت: الكتاب الثانى، فقرة (٩٧) ٢١٠.

[89] المرجع نفسه، (١٩) ٩٥؛ رشدى سعيد: المرجع السابق، ١١٢.

[90] Willcocks, op. cit., 41.

[91] إرمان، رانكه: مصر والحياة المصرية، ٤؛ وعن الفيضان ومواعيده راجع:

Willcocks, op. cit., 78-79.

ينقسم الفيضان إلى موجتين: الأولى وتسمى بالموجة الخضراء قادمة من النيل الأبيض وتسير بهدوء مسافة ٧٠٠ كم، وتمر بالخرطوم حوالى أوائل أبريل وتصل الحدود المصرية عند الشلال الأول في أوائل يونيه. أما الموجة الثانية وهى الموجة الحمراء، وسميت بذلك؛ لأنها تحمل الطمى المفتت من تربة الحبشة البركانية وتأتى في أوائل يوليه (إبراهيم رزقانه وآخرون: حضارة مصر والشرق القديم، القاهرة، د.ت، ٥٩).

[92] رشدى سعيد: المرجع السابق، ص ١١١.

[93] مقياس النيل عبارة عن بئر مشيدة على حافة النيل له سلم ينزل من منسوب المعبد الى ادنى نقطة يصل إليها النهر فى موسم التحاريق ويسمح لماء النهر بالدخول فى البئر إما بفتحة بأسفل البئر أو عن طريق النشع خلال تربة أرضيته. وكان ماء النيل يدخل البئر حتى يتساوى سطحه فيه مع سطحه فى النيل. وقد وجدت فى مصر القديمة عدة مقاييس فى فيلة، وانفتين -وقد وصفه "سترابون"- وإدفو، وإسنا، والكرنك، ويرجع تاريخ معظم المحفوظ منها الى العصور المتأخرة. والعصر البطلمى- الرومانى، وقد بنيت هذه المقاييس فى حرم معابد تلك العصور، وقد وصفها جميعا "L.Borchardt" وصفاً دقيقاً فى مقالتين بعنوان: "مقاييس النيل ومناسيبها" (رشدى سعيد: المرجع السابق، ص ١٤٦؛ إ. إرمان، هـ. رانكه: مصر والحياة المصرية، ٥).

[94] W. Budge, The Nile (Dates for Travelers in Egypt, 8ed, London, P76.

رشدي سعيد: المرجع السابق، ص ١٤٦.

[95] W. Schenkel, " überschwemmung ", LÄ VI , 832.

[96] جمال حمدان: المرجع السابق، ٦٦٥-٦٦٦؛ برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ١٣.

ينخفض بسرعة وبشدة، وقد يحدث العكس فيبدأ شحيحاً وينذر بالقحط فإذا به يرتفع فجأة إلى الذروة. وهنا فإن العبرة مع ذلك ليست بالذروة وحدها ولكن بطول مكثها ومداها الزمنى[٩٧].

وتجدر الإشارة إلى وجوب أن نحدد بدقة من كان الأخطر والأكثر تخريباً الفيضان العالى جداً أم المنخفض جداً[٩٨]. فعلى الرغم من أن المصريين كانوا دائماً يُصلون من أجل الفيضان العالىh^{c}pyw[٩٩]، لكنه يمكن أن ينقلب إلى مأساة داهمة. وكذلك الفيضان المنخفض h^{c}py nds sri[١٠٠]، فلم يكن بأقل لعنة. على أن المثل الشعبى يحسم لنا الموقف، فإنه "الغرق ولا الشرق"، فالغرق -الفيضان العالى- إن أهلك المحصول والحياة فى الأراضى المنخفضة والعادية المنسوب قد تنجو منه الأراضى العالية "النبارى"، وتأتى بمحصول مضاعف في العام التالى. أما الشَرَقَ -الفيضان المنخفض- فمعناه الوحيد هلاك الزراعة كلها، دونما تعويض في العام التالى. وفى الحالتين فإن تاريخ مصر ليس كفاحاً من أجل الماء فقط، ولكنه أيضاً كفاح ضد الماء. الخطر مزدوج، والكفاح مزدوج، والماء من ثم كان دائماً سلاحاً ذا حدين في بيئة مصر الفيضية"[١٠١].

وقد كان الفرق بين أعلى وأقل مستوى مياه يبلغ عند أسوان في المتوسط ما بين ٨ إلى ١٠ م، وفى القاهرة حوالى من ٦: ٨ م وطبقاً للمعلومات الواردة على مقصورة "الملك سنوسرت الأول" فى الكرنك فكان ارتفاع الفيضان النموذجى يبلغ في مصر العليا ٥ أذرع و٢ شبرين و٣,٥ إصبع أى حوالى ٢,٨ م، وفى مصر السفلى ٤ ذراع و ٣,٥ أصبع أى حوالى ٢,٢م[١٠٢].

ورغم مسالب الفيضان الذى قد يسبب كثيراً من الكوارث الطبيعية والبشرية فإنه لم يعدم جوانبه الإيجابية، فقد كان بمثابة نجد متجدد للسكان، وحافزاً دورياً لتطوير الفنون الحضارية، وضبط البيئة الطبيعية، كما منع أى شعور أو اتجاه إلى التكاسل، هذا فضلاً عن دوره الاجتماعى فى هز الأوضاع الطبقية وإعادة توزيع الثروة القومية من حين إلى آخر"[١٠٣].

الفيضان في الفكر المصرى القديم:

هل كان المصريون يعرفون سبب فيضان النيل؟ وهل كانوا يعرفون منابعه؟ الواقع أن فيضان النيل شأنه في ذلك شأن منابع النيل فكان أمراً مجهولا لدى المصريين. وقد حاول "هيرودوت" بعد ذلك معرفة السبب الذى من أجله ينساب النهر فى فيضان جارف

---

[97] جمال حمدان: المرجع السابق، ٩٠٤- ٩٠٥؛ وراجع أيضا: Toussoun, op. cit., 122.

[98] K. W. Butzer, Early Hydraulic Civilization in Egypt "A study in Cultural Ecology", Chicago, 1976, 52-56.
وراجع "هيرودوت": الكتاب الثانى، فقرات:(٩٧) ٢١٠، (٩٩) ٢١٢.

[99] h^{c}pyw اسم "حعبى" فى صيغة الجمع للإشارة إلى غزارة مياه الفيضان. (URK IV, 217, 2)

[100] h^{c}py nds sri اسم "حعبى" مضافاً إليه إحدى الصفتين nds sr وكلاهما للإشارة إلى قلة مياه الفيضان أو الفيضان المنحفض. (URK II, 130, 6)

[101] جمال حمدان: المرجع السابق، ٨٩٩.

[102] W. Schenkel, überschwemmung, LÄ VI , 832.

[103] جمال حمدان: المرجع السابق، ٩٠٨-٩٠٩.

مدة مائة يوم ويزيد من المصريين أنفسهم إلا أنهم لم يدلو له بأية معلومات بخصوص هذا الموضوع[104]. ومن المعلوم أن الفيضان بالنسبة للأرض المصرية يمثل الظاهرة الطبيعية الرئيسية مع الشمس[105]، فهما قضيبا قطار الحضارة المصرية كما يقول "برستد" في كتابه "فجر الضمير" فقد كانت هاتان الظاهرتان هما أول شيء لاحظه المصرى القديم عند بداية استقراره حول ضفاف نهر النيل[106].

وكعادة المصرى القديم في تأصيل مظاهره الكونية وربطها بأفكاره ومعتقداته الدينية فقد ربطوا الفيضان بعدد من الآلهة وقدسوا فيضان النيل تحت اسم المعبود "حابى" -كما ذكر سابقاً- حيثُ كان يُنظر إليه أنه المسبب أو جالب الفيضان والخصوبة[107]. كما يقول "إرمان" إن المصرى القديم منذ القدم قد أطلق العنان لمخيلته لتقديس فيضان النيل في صورة "حعبى" تلك القوة التى تأتيه بالأعجوبة السنوية والتى تهيمن على حياته وترتبط بها حضارته[108]، وكما ذكر أيضاً أن المعبود "حعبى" كان يُنظر إليه أنه المسبب للفيضان[109]. وكان أيضاً ومعبود منطقة الجندل الأول يعدون كجالبين للفيضان أساساً حيث كان بوابة الدخول لمصر، وكان "خنوم" وزوجتاه "ساتيس وعنقت" مستقرين عند منابع النيل بوابة النيل لدخول مصر[110].

منبع الفيضان بالنسبة لفكر المصرى القديم:

مع التسليم بأهمية الدور الذى أداه نهر النيل فى الحياة المصرية لكنه من ناحية أخرى لابد من التسليم بالنصف الآخر من الحقيقة إنه بالنيل وحده ما كان لمصر أن تقوم- فإن جغرافية النهر كانت من الأمور المجهولة للناس فى مصر القديمة. أما منابعه[111]، فعلى الرغم من أن البعض يرى أنه لم يكن لديهم فكرة واضحة عن تلك

---

[104] وقد ذكر "هيرودوت" أن بعض اليونانيين قد ذهبوا فى تفسير ظاهرة الفيضان ثلاثة مذاهب. الأول: أرجعه إلى الرياح الموسمية. الثانى: يزعم أن النهر يفيض من المحيط. أما المذهب الثالث والأخير فيدعى أن النيل يستمد ماءه من الثلوج الذائبة، وأنه ينساب من ليبيا ماراً وسط إثيوبية وينصب فى مصر (هيرودوت: الكتاب الثانى، (١٩) ٩٥، (٢٠، ٢١، ٢٢) ٩٦-١٠١)؛ وقد ناقش "ديودور" بالتفصيل قصة فيضان النيل وعرض لآراء الكثيرين ممن سبقوه راجع: Diodorus, 138. 1-7.

[105] بريستد: فجر الضمير، ٤٣. وراجع:

Toussoun, op. cit., 120.

[106] بريستد: المرجع السابق، ٤٣؛ وخير شاهد على ذلك ما جاء فى أحد نصوص التوابيت الذى جمع بين "رع" الشمس وبين "حعبى" الفيضان حيثُ نقرأ: "أنا رع فى إشراقه، و"حعبى" فى ركوده" (مختار محمد: المرجع السابق، ٦٩).

[107] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٦-١٨٧؛ بريستد: المرجع السابق، ٤٣؛ وراجع:

Toussoun, op. cit., 120-121.

[108] إرمان: ديانة مصر القديمة، ١٧ ، ١٨.

[109] عبدالحليم نور الدين: المرجع السابق، ١٨٦.

[110] Schenkel, über Schwemmung, LÄ VI, 833 (E).

وفاء محمد حسن: المرجع السابق، ٧٠.

[111] عن منابع النهر فى كتابات القدامى راجع:

Herodotus, II, 29, 32-33: Diodore, I, 37; Pomponius Mela, I, IX.

عن معتقدات المصرى القديم عن الفيضان ومنابعه من الناحية الجغرافية والطبيعية راجع:

Schenkel, op. Cit., 831-33; G. Dreyer, Katarak, LÄ III, 356-59.

المنابع، واستشهد على ذلك ببعض من نصوصهم فقد جاء وصف النيل فى أحدها "بأنه القادم من الظلام"، كما ورد فى أحد نصوص الأهرام "أن النيل ينبع من مكان غامض"، وفى نص آخر من نصوص الأهرام "أن النيل يأتى من السماء". فإن البعض الآخر يرى غير ذلك ويذكر أن المصريين كانوا يعتقدون أن منابع النيل تقع عند الشلال الأول جنوبى أسوان[112]. حتى وصل الأمر إلى نسج الأساطير كعادة المصرى القديم في تفكيره العقائدى. فقد ربط المصرى القديم بين "حعبى" الممثل للفيضان والثعابين التى كان يعنى ظهورها وصول الفيضان وغمره للأرض المصرية (شكل ٦)، كما نجد إشارة إلى ذلك -أيضاً- فى لوحة المجاعة بجزيرة سهيل[113]. كما أن هناك بعض الخرافات نقلاً عن "هيرودوت" عن موظف مصرى في معبد "نيت" أن النيل يولد بين "سيين" و"إلفنتين"، وأن شطرا من مائه يجرى إلى مصر، والشطر الآخر إلى النوبة. ومن الواضح أن هذا القول ليس سوى خرافة خاصة بعد أن قال "هيرودوت" إنه يميل إلى الظن بأن ذلك الموظف الذى نقل عنه هذا القول كان يمزح[114]. فكان المصريون يوقنون من غير شك أن النيل لا يجرى شطر منه إلى مصر وشطر منه إلى النوبة، بل يأتى من النوبة جارياً إلى مصر[115]، وقد وصل المصريون إلى النوبة وما وراء النوبة بحملاتهم العسكرية وقوافلهم التجارية منذ الدولة القديمة، ووصلت فتوحاتهم في عهد الدولة الحديثة إلى ما وراء الشلال الرابع، وشاهد ذلك هو آثارهم التى لا تزال قائمة فى هذه المنطقة[116].

أما كمية المياه التى يحملها النهر فلم يقدروها، ولم يعرفوا سبب ارتفاعها كل عام. ورغم ذلك كانت ظواهره وفقاً لرؤيتهم جزءاً لا يتجزأ من النظام الكونى فكما شروق الشمس وغروبها كل يوم كان ارتفاع النيل وانخفاضه فى مواسمه ينتظرونه فى ترقب وقلق كبيرين، وتغشاهم الرهبة من زيادته ونقصانه عن المنسوب المناسب ففى كليهما بلاء عظيم[117].

---

[112] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١١٧، عن النيل ومنابعه راجع:
Toussoun, op. cit., 27-57; W. Budge, The Nile., 73-79.
وعن النصوص التى وردت فى حجر رشيد عن فيضانات النيل راجع:
W. Budge, The Rosetta Stone in the Britich Museum, London, 1929.

[113] مختار محمد: المرجع السابق، ٢٤٤.
ارتبط المعبود "حعبى" بالفيضان -باعتباره معبوداً أزلياً- بالثعابين، حيث يسكن معها فى كهفه الذى ينبع منه، وشاهد ذلك ما ورد عنه فى كتاب الموتى حيث نقرأ: " بأنه الثعبان الذى يوجد في كهف إلفنتين عند مصدر المياه، والذى يأتى مع المياه لكى يقدم له القرابين"، وفي عصوره المتأخرة صور المصرى القديم "حعبى" يجلس في هذا الكهف، ورسم معه ثعبانا يلف حوله ولا يترك إلا فتحة بسيطة بين زيله وفمه حيث تنساب المياه. وربما قد جاء هذا الارتباط من احتمال ظهور الثعابين بكثرة عند غمر الفيضان للأرض حيث تخرج الثعابين من شقوق الأرض التى تكونت بفعل الجفاف.
P. Barguet, La stèle de la famine, À Séhel, BIFAO 24 (1953), 9-39.

[114] هيرودوت: الكتاب الثانى، (٢٨، ٢٩)، ١٠١-١٠٨.

[115] J. F. Pécoil, Les Sources Mythiques du Nil et Le Cycle la Crue, Société D'Égyptologie 17 (1993), 97-110; Barguet,op. cit., 9-10.

[116] عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصرى القديم، القاهرة، ١٩٥٧، ١٠ حاشية (١).

[117] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١١٠.

كان تغير منسوب المياه التى يحملها النهر مرتبطا بتغير منسوب أمطار منطقة الساحل الأفريقى، فمع قدوم النهر فى أى موسم بمنسوب زيادة كان يهدد جزءاً كبيراً من الأراضى بالغرق. كما أن مجيئه بمنسوب أقل عن المستوى المطلوب سبب فى حرمان شطر كبير من الأراضى من الماء؛ الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى حياة الشعب المصرى وتعرضه للمجاعة[118].

الفيضان من خلال النصوص:

كان للفيضان أبلغ الأثر فى تاريخ قدماء المصريين وديانتهم، كما تشهد بذلك النصوص المدونة على معابدهم وأهراماتهم[119]. غير أن فيضان النيل لم يكن مريحاً فى كل الأحيان فحينا يكون شديد الارتفاع، وحينا آخر يكون شديد الانخفاض[120]، فإذا جاء مرتفعاً جرف كل ما يلقاه فى سبيله من حيوانات ومساكن، وفى ذلك يقول أحد الملوك:- *"أصبح الوادى كله كأنه بحر وغطت الأمواج المعابد وأصبح الناس كأنهم الدجاج المائى"*. وهذا الوصف جاء متطابقا مع ما ذكره *"هيرودوت"* بعد ذلك فى منتصف القرن الخامس ق. م من وصف لمصر فى وقت الفيضان قائلاً :-

"وعندما يفيض النهر على البلاد تظهر المدن وحدها فوق الماء وتكاد تشبه الجزائر فى بحر إيجة على حين تصبح سائر أجزاء مصر بحراً فلا يبدو منها غير المدن وأثناء ذلك لا ينتقل المصريون بمراكبهم فى مجرى النهر، بل فى وسط السهل فالصاعد فى النهر مثلاً من مدينة "نوقراطيس"[121] إلى "ممفيس" يسير بحذاء الأهرام. وليس ذلك بالطريق المعتاد التى تمر برأس الدلتا وبمدينة "كركاسوروس"[122] وإذا أبحرت من البحر وفرع "كانوب" إلى مدينة "نوقراطيس" عابراً السهل فإنك تبلغها ماراً بمدينة " أنثيلا " والمدينة التى تسمى بمدينة "أرخاندروس".[123] ومن النص السابق يتضح أن كمية المياه التى تأتى إلى مصر في زمن الفيضان كانت من الضخامة بحيث أنها تجعل مصر أشبه بالبحر فلا يبدو ظاهراً في أرضها إلا الأماكن المرتفعة التى تشبه جزر بحر إيجة[124].

وهو ما أكده *"ديودور"* فى تعليقه على ظاهرة الفيضان قائلاً :-

"إن ظاهرة ارتفاع مياه النيل تبدو مدهشة لمن تقع عينه عليها أما بالنسبة لهؤلاء الذين يسمعون عنها فأنها تبدو غير معقولة لأنه بينما تأخذ باقى الأنهار فى الانخفاض خلال الصيف، وتوالى انخفاضها، فإنه النهر الوحيد الذى يبدأ فى الارتفاع ويأخذ فى

---

[118] ج. ويلسون: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٥، ٣٩.

[119] عن أهمية الفيضان راجع:

L. Borchardt, Altägyptische Nil Messer und Nilstandsmarken, 1906, 36-37.

[120] Labib Habachi, A High Inundation at Karnak in the 13th dynasty, Studien Zur Altägyptischen Kultur (1) Hamburg, 1974, 213.

[121] مدينة موقعها " كوم جعيف" الحالية على بعد ٣٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقى من الإسكندرية وتم إنشاؤها بين عامى ٦١٥ ، ٦١٠ ق. م.(أحمد بدوى: هيرودوت يتحدث عن مصر، ٢١٠(٤).

[122] مدينة موقعها لم يبعد كثيراً عن رأس الدلتا وأغلب الظن أنها " الوراق " على بعد ٣ ك م شمال القاهرة (أحمد بدوى: هيرودوت يتحدث عن مصر، ٨٩ (٤).

[123] هيرودوت: الكتاب الثانى، (٩٧) ٢١٠-٢١١.

[124] أبو اليسر فرج: المرجع السابق، ١١١.

[ب] عصر بناة الأهرام:

وفى عصر بناة الأهرام عاود النيل ارتفاعه وسجل متوسط ارتفاع وصل إلى (١,٨) متراً خلال الفترة المتبقية من الأسرة الثالثة والأسرة الرابعة والخامسة. وقد قدرت كمية تصرف النيل وفقا لهذا الارتفاع من الأسرة الثالثة حتى الخامسة بحوالى (١٣٠) بليون متر مكعب. وقد سُجل أعلى ارتفاع فى عهد الملك "سنفرو" إذ بلغ (٢,٧ متراً)، كما بلغ متوسط ارتفاع النيل أكثر من مترين فى عهد الملك "إرى خت نتر" (جسر)، ويرى البعض أن هذا المتوسط يجعل من الصعب قبول ما سُجل عن المجاعات التى استمرت سبع سنوات فى عهد هذا الملك فى النقش الموجود فى جزيرة سهيل بأسوان (شكل ٩ أ)، والذى قيل إنه كُتب فى عهد الملك "بطلميوس الخامس"، كما يجعل من الصعب قبول أن هذا النقش منقول من وثائق ترجع إلى عهد الملك "جسر" وهى مساحة زمنية تُقدر بأكثر من ألفين وخمسمائة سنة[138].

ومما سبق يتضح أن انخفاضا حدث فى متوسط ارتفاع النيل خلال مدة القياسات المنقوشة على حجر "بالرمو" فقد نقصت من متوسط (٢,٨ متراً) فى عصر الأسرة الأولى، والثمانين سنة الأولى من الأسرة الثانية إلى (١,٦) خلال الفترة المتبقية من عصر الأسرة الثانية والخمسة عشرة سنة الأولى من الأسرة الثالثة. أما أثناء حكم الأسرات الأربع التالية فقد حدث ارتفاع فى المتوسط إلى (١,٨) متراً (شكل ١٠). ويرجح الكثير من الباحثين أن معظم الفيضانات المذكورة فى حجر بالرمو قد قيست فى مقياس النيل فى منطقة منف (مقياس منف)[139].

ويعتقد "رشدى سعيد" أن أرقام القياسات المنقوشة على حجر بالرمو صغيرة إذا ما قورنت بقياسات مقاييس النيل الحديثة، وأنها كانت تُمثل ارتفاع عمود الماء فوق سهل الفيضان عند "منف" أو فوق أحواض الزراعة فيه. ويرى أن نقطة الصفر فى هذا المقياس كانت عند مستوى أحواض الزراعة فى "منف"، وأنه كان يقيس عمود الماء فوق هذه الأحواض، ويرجح أن تكون لمقياس النيل عند منف نقطة صفر أخرى عند أدنى منسوب للنيل وقت التحاريق مثل مقاييس النيل المعروفة. وإذا كان الأمر كذلك فمن المؤكد أن نقطة الصفر التى استخدمت فى الدولة القديمة كانت النقطة العالية منهما والتى كانت تبدأ عند أرضية أحواض الزراعة"[140]. ويذكر أيضاً أن القياسات يمكن أن تكون قد تمت بمقياس محمول كالشاقول (ميزان البنا) فى أحواض النيل ذاتها. وفى كل الأحوال فإن القياسات المنقوشة على حجر بالرمو لا يمكن تفسيرها إلا باعتبارها تمثل

---

[138] المرجع نفسه، ١٥٣، ١٥٦؛ وعن مقاييس النيل فى الدولة القديمة راجع:
G. Jéquier, Nilomètres sous L'Ancien Empire, BIFAO V (1906), 63-64.

[139] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٥٣، ١٥٤.

[140] المرجع نفسه، ١٥٤؛ وفى مصر القديمة وجدت عدة مقاييس لقياس ارتفاع المياه فى فيله، وفى إلفانتين، وفى إدفو، وفى إسنا، وفى الكرنك.
See: Strabon, XVII, I; Palanque, op. cit., 40-43; Willcocks, op. cit., 76.
وفى أسوان يوجد بمعبد "خنوم" مقياس له نقطتين للصفر عن ذلك راجع:
H. Jaritz & M. Bietak, Zweierlei Pegeleichungen zum Messen der Nilfluthöhen im Alten Ägypten Auntersuchung Zum Neuenldeckten Nilometer des Chnum – Tempels von Elephantine (Strabon, XVII. I. 48), MDAIAK 33 (1977), p. 47-62.
وعن مقاييس النيل وتعدادهم راجع:
O.Toussoun, L' Histoire du Nil, T, 2, de Mémoires T. 8, Le Caire, 1925, 265-66.

ارتفاع الماء فى أحواض الزراعة القديمة، وبمقارنتها بمثيلاتها فى القرن التاسع عشر اتضح أن منسوب الفيضان فى الحوض هو رقم يقارب إلى حد كبير الكثير من الأرقام التى تظهر فى حجر بالرمو[١٤١] (شكل ١١).

وكما نعلم فإن الفيضان يأتى أحيانا كثيرة فيضاناً مدمراً، وفى هذه الحالة كانوا يحتالون أحياناً لمعالجته، ولكن هذا لم يكن يهُم كثيراً؛ ذلك لأنهم فى أغلب الأمر يتوقعون ذلك، وكانوا يدركون أن الأرض ستغمر عقب الفيضان الطيب وبعدها ينحسر الماء عن الأرض وهذا إيذان ببدء العمل[١٤٢]. ففى نصوص الأهرام ١٥٥٣-١٥٥٤ نقرأ: بينما يرتعد مشاهدو "حعبى" (عندما) يفيض، تضحك الحقول، وتغرق الضفاف، وتنزل قرابين الآلهة، وتشرق (تنير) وجوه البشر، وتسعد (تبتهج) قلوب الآلهة"[١٤٣]. كما أن غزارة مياه الفيضان تسبب الرخاء والازدهار وشاهد ذلك ما ورد فى بردية "هاريس الأولى" "أعطى فيضان عال (عظيم) وغزير (غنى) فى عهده"[١٤٤].

ففى إحدى رسائل *"حقا نخت"* من الأسرة الحادية عشرة نجده يصف الفيضان بقوله: " أما إذا كان النيل حسنا -والواقع إن النيل قد أخذ فى الارتفاع عندما كان "مرسو" فى خلال تلك المدة يزرع محصوله الصيفى- فقد كتب أنه يخشى ألا تتحمل جسوره ضغط الماء فيفيض الماء على حقوله قبل أن يحصدها". وقد ذُعر كذلك "حقا نخت" فكتب فى الحال بسرعة، ولم يجر على عادة تبلغ السلامات والتحيات كما كان الحال بل كتب مباشرة قائلاً:- "الكاهن "حقا نخت" يخاطب "مرسو" فعليك أن تجتهد فى الفلاحة، واحترس جداً وحافظ على كل ما أمتلك لأنك ستكون مسئولا عنه". وفى منتصف الخطاب عادت إليه وساوسه ومسئولية ضياع المحصول والغلال فاندفع قائلاً :"إذا حدث أن أرضى غرقت عندما يكون "سنفرو" أخوك يفلحها معك هو و"أنبو" فالويل لك ولـ "سى حتحور"[١٤٥].

ونرى أثر توفر المياه واضحاً فى مقبرة "مكت رع". وكان رجلا كبيرا ثريا عاش أيام الأسرة الحادية عشرة، وشيد لنفسه مقبرة بمنطقة الدير البحري في طيبة الغربية، عثر فيها على أشياء كثيرة عبارة عن نماذج خشبية متنوعة تدل على ثرائه وأنه كان من أصحاب الأملاك الواسعة، انعكس ذلك الثراء على أسرته والأتباع المحيطين به، نجد ذلك في التمثالين المشهورين للجاريتين حاملتى القرابين اللتين وجدتا في مقبرته، وقد ظهر فيهما من حلاوة التعبير وصفاء الملامح وتفاصيل الثياب المشغولة بالخرز على هيئة قشور السمك[١٤٦]، وبدأ تمثيل مياه النيل على الملابس بعد طول انتظار للمياه واشتياق الناس لها. وقد شكلت تلك الزخرفة على هيئة أمواج المياه[١٤٧]، لذلك فقد اتخذت المياه هنا رمزا للثراء والغنى الذي كان فيه ذلك الموظف الكبير وما أفاء به على

---

[141] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٥٥.

[142] Breasted. J. H, Ancient Records of Egypt, Chicago, 1906, 57 – 72.

[143] Pyr. 1553b-1554a.

[144] Buck, in Orientalia Neerlandica, (1948), 10.

[145] سليم حسن: مصر القديمة، جـ ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ١١٦.

[146] عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ١٨١

[147] Evers, Staat aus dem Stein, Taf.7.

جواريه منه، المياه ترمز للنعيم والخير في الدنيا، فإذا ما توفرت المياه للزراعة يعيش الناس في خير ونعيم، وأراد "مكت رع" أن يكون في نعيم في الآخرة فجعل معه تلك الجواري اللاتي ارتدين ملابس تحتوي على المياه، إذن المياه رمز للنعيم في الدنيا والآخرة، ويلاحظ كذلك كثرة النماذج الخشبية التي تمثل المراكب من مقبرته[148]، فهي كذلك ذات صلة بالنيل. ورغم أن هذه النماذج الخشبية ازدادت خشونة نظرا لتدهور الأحوال الاقتصادية في عصر الانتقال الأول ، فإنه ومع بدايات الدولة الوسطى تظهر بعض النماذج المتقنة مثل نماذج مقبرة مكت رع في طيبة من الأسرة الحادية عشر كما تشير نصوص الأسرة الثانية عشرة إلى حالة الرخاء والاستقرار التى عمت البلاد نتيجة ارتفاع منسوب مياه النيل، وفى الغالب الأعم كان عالياً أى معطاءً وحسنا مثل: فيضان "سنوسرت الأول" (١٩٧٤- ١٩٢٩ ق.م) الذى ارتفع فيه النيل إلى (١١,٣متراً) فى جزيرة إلفانتين و(٦,٦متراً) فى منف، و(٣,٤ متراً) فى ديوسبوليس (تل البلامون) شمال الدلتا. وقد قدرت كمية تصرف النيل وفقا لهذه الارتفاعات بحوالى (١٢٠) بليون متر مكعب وكانت نتيجة هذا الارتفاع إضافة أرض واسعة للزراعة[150].

ويستدل على ذلك أن معظم ملوك الدولة الوسطى قد مثلوا نيلى الوجه البحرى والوجه القبلى- وهم يقومون بعملية ربط نباتي الوجهين القبلى والبحري اللوتس والبردى دلالة على وحدة البلاد على كرسى العرش الذي يجلس عليه ملك البلاد مما يدل معه أنه ملك البلاد كلها، الملك يسيطر على الوجهين من خلال سيطرته على النيلين، فالعملية هنا تمثيل لوحدة البلاد، كما أن وحدة النيل دلالة على استقرار حالة النيل في الدولة الوسطى. فالمياه هنا ترمز إلى وحدة البلاد تحت ملك واحد الجالس على العرش. ولذلك ظهر حابي بكثرة على جانبي كرسي العرش لملوك هذه الأسرة[151]. ومن تماثيل الملوك التى تحمل منظر معبودى النيل وهما يقومان بعملية الوحدة، تمثال الملك أمنمحات الأول من تانيس متحف القاهرة، تماثيل الملك سنوسرت الأول العشرة من اللشت متحف القاهرة، تماثيل الملك سنوسرت الأول من تانيس، تمثال سنوسرت الثانى من تانيس، قاعدة تمثال للملك أمنمحات الثالث من بوباسطة متحف القاهرة[152].

كما يُستدل على ذلك -أيضاً- بظهور التموجات المائية فى الذقن والشعر فى تماثيل ملوك وملكات هذه الفترة وهى تُعد دلالة على وفرة الماء ومن هذه التماثيل تمثال الملكة "نفرت" زوجة الملك "سنوسرت الثانى" وباروكتها المنبعجة التي فيها تموجات الماء، وتمثال الملك أمنمحات الثالث على هيئة كاهن من كيمان فارس بالفيوم ذقنه بها

---

[148] Ibid., Taf. 5-6.

[149] عيد عبدالعزيز: رمزية المياه في تماثيل الدولة الوسطى، كتاب مؤتمر الفيوم الخامس، ٢٠٠٥، ٤.

[150] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦١، ١٦٢؛ وعن ارتفاعات فيضانات "سنوسرت الأول" راجع: H. Kees, Ancient Egypt a Cultural Topography, edited by James (T. G. H.), London, 1961; B. Bell, Climate and the History of Egypt, The Middle Kingdom, AJA 79 (1975), 223-269.

[151] عيد عبدالعزيز: رمزية المياه، ٢، ٣، ٤؛ رغم أن عملية الوحدة smA tAwy موجودة منذ عصر الأسرة الأولى، إلا أن التعبير بمعبودي النيل وهم يقومان بعمل السما تاوى وجد منذ عصر الدولة الوسطى. Vereinigung beider Lander, in: LA VI, 974.

[152] Evers, Staat aus dem Stein, Taf. 16, 26, 40-41, 67, 117.

تموجات مياه، وكذلك تمثال الملك أمنمحات الثالث على هيئة حابي من تانيس السمك واللوتس والتموجات المائية على الذقن[١٥٣].

وقد استمرت هذه الفيضانات العالية بعد حكم "سنوسرت الأول" وخلفائه حتى إنه لا يوجد فى نصوص هذه الفترة أى ذكر للمجاعة. وفى الفترة من سنة ١٨٤٠ حتى سنة ١٧٧٠ ق. م. بدأ ارتفاع منسوب مياه النيل يكون أعلى من متوسطه، ومما يُعد دليلاً على ذلك الفيضانات التى نقشت على صخور جرفى منطقة "سمنة". وبالجرف حوالى سبع وعشرين علامة توضح أن فيضانات النيل فى الفترة السالفة الذكر كانت أعلى من متوسطه[١٥٤]. وقد اختلف كثيراً حول تفسير هذه العلامات فهناك من يرفضها وحجته فى ذلك أن نصوص الدولة الوسطى لم تأت على ذكر هذه الفيضانات، بينما قبلتها B. Bell على علاتها وأرجعتها إلى أن النهر كان عالياً بالفعل وأن تصرفه كان كبيراً[١٥٥]. ومنهم من يرى J. Ball أن هذه المناسيب العالية لا تعود إلى كبر تصرف النهر بقدر ما تعود إلى ارتفاع مجرى النهر وقت تسجيل منسوب هذه الفيضانات مما كان يرفع منسوب الفيضان فى هذه الفترة[١٥٦]. وهذا يعنى أن تصرف النهر كان عالياً، وصل إلى حدود (١٨٠ بليون متر مكعب) فى السنة، ورغم هذه الكمية الهائلة من المياه لكنه لم يتسبب فى أية كوارث. ويرجح أن مهندسى الأسرة الثانية عشرة استطاعوا أن يوسعوا رقعة الأرض الزراعية، وأن يبنوا مبانيهم على الجسور العالية فوق منسوب مياه الفيضان، وأن يحولوا منخفض الفيوم إلى خزان طبيعى يحبس فيه مياه النيل الزائدة لحماية أراضى الدلتا[١٥٧].

لعل أهم ما يذكر من المشاريع العمرانية لعصر الأسرة الثانية عشرة هو مشروع سد اللاهون وهو مشروع للانتفاع بمنخفض الفيوم في الري وتوسيع رقعة الزراعة حوله، وقد قام على أساس توجيه جانب من فيضان النيل إلى منخفض بحيرة الفيوم الواسعة التي كانت ما تزال تحتفظ بعذوبة مائها لرفع مستوى سطح الماء فيها حتى تنتفع به أكبر مساحة ممكنة من أراضي المدرجات الخصبة التي تحيط بها، وتم المشروع ببناء سد أو سدود ذات فتحات في أضيق ممر ينفذ منه بحر يوسف الحالي خلال جريانه إلى منخفض الفيوم، وقد أدى المشروع في نهاية أمره الى استصلاح نحو ستة وعشرين أو سبعة وعشرين ألف فدان جديدة، ولتوسيع رقعة هذه الأرض الخصبة كان ينبغي تقليل اندفاع الماء إلى منخفض الفيوم بما يسمح بسهولة إرساب الطمي والتقليل من سرعة تبخر ماء البحيرة. ثم حماية هذه الأرض من طغيان الفيضانات المتتالية بعدد من الجسور وقنوات الصرف وتكتمل بداية هذا المشروع في عهد الملك سنوسرت الثاني بإنشاء سد على فم أخدود هوارة بجوار اللاهون لتنظيم اندفاع الماء،

---

[153] Ibid., Taf. 72-75, 127, 129.

[154] رشدى سعيد: المرجع السابق ، ١٦٢.

[155] B. Bell, AJA 79 (1975), 223-269, (228).

[156] J. Ball, Semna Cataract, Journal Quarterly Geological Society, 59 (1903), 65-79, (67).

[157] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦٦-١٦٧.

ثم استكمل المشروع في عهد أمنمحات الثالث[158]. ومن ثم فإن اهتمام ملوك الأسرة الثانية عشرة بالفيوم يدل على عناية تلك الأسرة بمسألة من أهم المسائل الحيوية لمصر وهي الانتفاع بمياه النيل ومحاولة زيادة رقعة الأراضي الزراعية.

وقد عزا J. Vercoutter هذه المناسيب العالية إلى مجموعة السدود التى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة فى منطقة النوبة لتحسين الملاحة فيها مما رفع من مناسيب المياه خلفها[159]. على الرغم من أن بعض الباحثين ذكروا أنه لا يوجد دليل يُشير إلى أن ملوك هذه الأسرة قد قاموا بمثل هذا العمل، إنما قاموا بوضع بعض الأحجار فى مجرى النهر بالنوبة فى محاولة لتهذيب مجراه[160].

وقد اختلف -أيضاً- حول أسباب هذه الفيضانات العالية فى عصر الأسرة الثانية عشرة فالبعض أرجعها إلى تغير كامل فى نمط المناخ وعودة إلى النظام القديم الذى كان سائداً وقت فترة الهولوسين المطيرة[161]. وإن كان هناك من يرجعها إلى زيادة تصرف نهر العطبرة، وزيادة فى الماء الذى كان يصل إلى النيل من الوديان الجافة التى نشطت فى هذه الفترة من غرب السودان وشمال شرق السودان والنوبة وصحراء مصر الشرقية، واقتصرها البعض فى زيادة معدل الأمطار فى النوبة[162].

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ الدولة الوسطى أخذ الملوك يسجلون مناسيب ارتفاع مياه النهر على صخور عند الجندل الثانى عند سمنة وقمة(شكل ١٢)، وتشير بعض هذه الارتفاعات إلى أن ماء النهر كان يرتفع فى فيضانه عما هو اليوم بحوالى ٢٦ قدماً فى بعض الأحيان. فنجد مثلاً فى عهد الملك "أمنمحات الثالث" نقوشاً فى صخور "سمنة" و"قمة" فى مناسيب مختلفة يستدل منها على ارتفاع النيل فى السنين الآتية من حكم هذا الفرعون وهى السنة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والتاسعة والرابعة عشرة، والخامسة عشرة والثانية والعشرون، والثالثة والعشرون، والرابعة والعشرون، والثلاثون، والثانية والثلاثون، والسابعة والثلاثون، والأربعون، والحادية والأربعون[163].

هكذا كان لابد من تأكيد الوحدة التي بدأها الملك "منتوحتب الثانى" وذلك من خلال ملوك الأسرة الثانية عشرة بعد الضعف والوهن الذي أصاب البلاد خلال عصر الانتقال الأول، وأراد الفنان أن يعبر بالماء عن وحدة البلاد؛ لذا كثرت النقوش التي تمثل معبودي النيل حابى وهما يقومان بربط نباتي اللوتس والبردي رمزي الشمال والجنوب، ورمزين مانيين في نفس الوقت على جانبي كرسي العرش لملوك الأسرة الثانية عشرة على وجه الخصوص، وزاد منسوب المياه فى الأسرة الثانية عشرة؛ ولذلك أراد ملوكها

---

[158] عبد العزيز: رمزية المياه، ٣.

[159] J. Vercoutter, Excavations at Mirrgissa-II (October 1963-March 1964), Kush 13 (1965), 62-73, (62).

[160] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦٤.

[161] المرجع نفسه، ١٦٧.

[162] المرجع نفسه، ١٦٧.

[163] سليم حسن: المرجع السابق، ٣٢١؛ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٤، القاهرة، ٢٢٠.

أن يستغلوا ذلك، فزادت مشروعاتهم المائية واستصلاحهم للأراضي خاصة في منطقة الفيوم.

وفى عصر الأسرة الثالثة عشرة نستدل بنص آخر بدل على حدوث فيضان كبير فى عهد الملك sekhemre Seusertaui Sobkhotep. وبناءً على هذا الارتفاع العظيم للمياه (الفيضان) حدد "بكارات" حكم هذا الملك بين سنة ١٦٩٥-١٦٢٥ ق. م من الأسرة الثالثة عشرة، ويذكر النص أن الملك قد أضطر إلى أن يخوض فى المياه التى أغرقت معبد الكرنك عند زيارته له، مما يوحى بأنه من الفيضانات العالية وهو يُماثل الفيضانات العالية للدولة الوسطى[١٦٤]. وقد قُدر تصرف النهر فى ذلك الوقت بحوالى (١٨٠) بليون متر مكعب[١٦٥]. ونستدل من كل هذه النصوص إلى أهمية فيضان النيل حيث قامت الحكومة المركزية برصد ارتفاع فيضان النيل عاما فعاما، حتى تتخذ الإجراءات المناسبة لمواجهة ارتفاعاته وتنظيم الارتفاع بمياهه، وحتى تقدر الضرائب الزراعية العينية على أساس مدى انتفاع الأراضى الزراعية به[١٦٦].

الفيضان المنخفض = المجاعة:

كان انخفاض ماء النهر يسبب ضيقاً للمصريين، وكانوا يعيشون فى خوف وفزع دائم من احتمال عدم مجيء الفيضان أو شحه، كما كان توالى انخفاضه فى سنين متعاقبة يسبب قحطاً ويُعرض البلاد للمجاعة وما يتلوها نتائج وخيمة من تدهور وتفكك

---

[164] Labib Habachi, op. cit., 207-214.(207).
لم يكن هذا الفيضان آخر الفيضانات العالية، بل نجد أن الفترة المعروفة بالفترة الليبية -الأسرات من الثانية والعشرين إلى الرابعة والعشرين- كانت فترة فيضانات عالية، ففى عهد الملك " أوسركون الثانى" من الأسرة الثانية والعشرين حدث فيضان عالٍ يقول النص: "لقد فاض "نون" على هذه الأرض كلها "حتى نهايتها" بعد أن تخطى الضفتين".

J. Daressy, une Inundation a Thèbes sous le Règne d'Osorkon II, Rec.Trav.18, 181.
وارتفاع أعلى منسوب نقش على مقياس الكرنك وهو منسوب السنة السادسة من حكم الملك "طهرقا" (١١,١متراً) فوق نقطة الصفر للمقياس، وقد قدر تصرف النهر آنذاك حوالى (١٨٠) بليون متر مكعب؛ مما يؤكد أن هذا الفيضان كان عالياً جداً، ولا يقل عن الفيضانات العالية للدولة الوسطى. وقد شبه النص فيضان النيل بأنه نون العظيم كناية عن غزارة كمية المياه التى أتى بها الفيضان (رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٧٠-١٧١).

J. Leclant, recherchés sur les monuments Thébains de la XXVe dynastie dite Ethiopienne, 1965, 241ff.
وتتراوح المناسيب المنقوشة على مقياس الكرنك بين (١١,١متراً) السنة السادسة لحكم الملك "طهرقا" إلى (٩,٢٢متراً) فى العام (؟) من حكم "سمندس" وهى أكثر السنين انخفاضا على المقياس، ومع ذلك فقد كان فيضانها أعلى من متوسط فيضانات مصر الحديثة (رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٧١)؛ عن مناسيب مقياس النيل فى الكرنك فى العصر الليبى وأهميته التاريخية راجع:

J. von. Beckrath, The Nile Level Records at Karnak and their importance for the History of the Libyan Period (Dynasties XXII and XXIII), JARCE 5 (1966), 43-55.

عن فيضانات النيل منذ عهد "شاشانق الأول" حتى "بسماتيك" راجع:

G. Legrain, Les Crues du Nil depuis Sheshonq I jusqu' á Pasmetik, ZÄS 34 (1896), p. 119-121.

[165] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦٤.

[166] عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ٢٧١.

اجتماعي وهلاك الحرث والنسل. وقد تردد ذكر هذه المجاعات أكثر من مرة فى المصادر المصرية[167] وأشهرها:

- لوحة المجاعة بجزيرة "سهيل" جنوبى أسوان من عصر الملك "جسر"[168].
- مناظر الجوعى المنقوشة على الممرات الداخلية المؤدية لغرفة الدفن الخاصة بالملك "ونيس" (٢٣٧٥ – ٢٣٤٥ ق.م)[169].
- إشارة بمقبرة " خيتى" بأسيوط للمجاعة فى عصر الأسرة التاسعة "عصر الانتقال الأول"[170].
- نقوش السير الذاتية بمقبرة الحاكم "عنخ تيفى" (٢١٠٠ ق.م) بالمعلا[171].
- إشارات رسائل "حقا نخت"[172].
- نبوءة "نفرو رهو" وفيها -أيضا- إشارة لوجود قحط أو مجاعة ضربت البلاد آنذاك[173].
- القصة العامة عن سيدنا "يوسف" التى يُرجح أنها حدثت فى الفترة من (١٦٥٠ – ١٥٥٠ ق.م)[174].

ومعظم النصوص السابقة تُشير إلى المجاعات التى حدثت فى مصر، وتتحدث عن انخفاض النيل لسنوات -طالت أم قصُرت- متعاقبة، وتمتلئ بكلام عن اشتداد الجفاف وقلة المحاصيل مما أدى إلى صعوبة الحياة وضيقها وصولاً لحدوث مثل هذه المجاعات وأشهرها: *لوحة المجاعة*[175]، وقد اختلفت الآراء فى صحة تأريخ هذه اللوحة[176].

---

[167] نجيب ميخائيل: المرجع السابق، ٢٢٠.

[168] P. Barguet, La stèle de la famine, À Séhel, BIFAO 24 (1953)

[169] É. Drioton, Représentation de La Famine sur un Bas - relief Égyptien de la V^E Dynastie, BIE XXV (1942-1943), Le Caire, 45-54.

[170] عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٤٠٥ – ٤٠٦.

[171] J. Vandier, La Tombe d' Ankhtifi à Moc'alla, Comptes rendus de l' Acad. Des Inscrip. Et Belles lettres, 1947, i f.

إ. دريوتون، ج. فانديه: مصر. عربه: عباس بيومى، راجعه محمد شفيق غربال، عبدالحميد الدواخلى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ٢٤١، ٢٦٦، ٧٦٤.

[172] راجع: سليم حسن: مصر القديمة، جـ٣، ١١٢-١٢٤.

[173] المرجع نفسه، ١٧١-١٧٧.

[174] Vandier, La Famine dans l'Égypte ancienne, , Le Caire, 1936. 35; B. Bell, Climate and the History of Egypt, The Middle Kingdom, AJA 79 (1975), 223-269; British Museum Dictionary of Ancient Egypt. (1997), 96-97.

[175] P. Barguet, La stèle de la famine, À Séhel, BIFAO 24 (1953), 9-11.

اكتشفت هذه اللوحة عام ١٨٨٩ بواسطة Wilbour، ثم نشرها وترجمها Brugsch عام ١٨٩١ فى: Die biblischen Sieben Jahre der Hungersonth ثم تبعه Pleyte عام ١٨٩٢ فى: La Compte Rendus de L'Académie des Sciences d' Amsterdam (3e Série, t. 111) ثم De Morgen عام ١٨٩٤ فى: Catalogue des Monuments et inscription de L' Egypte Antique, t. 1. ثم نشرها J. Vandier عام ١٩٣٦ فى: La Famine dans L' Egypte ancienne، و J. Willson عام ١٩٥١ فى: Pritchard, Ancient Near Eastern Texts (1951). قام سليم حسن بترجمة مرسوم لوحة المجاعة الذى صدر فى عهد بطليموس الخامس ترجمة كاملة راجع: سليم حسن: مصر القديمة، جـ١٦، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠، ١٨٩.

[176] Vandier, op. cit., 33-39; Barguet, op. cit., 37.

سليم حسن: المرجع السابق، ١٨٧

"نقشت لوحة المجاعة أو صخرة سهيل فى صورتها الحالية فى عصر البطالمة(شكل ٩ ب)، واتجه الباحثون فى شأنها وجهتين: وجهة ارتأى أصحابها ومنهم "ماسبيرو"J.Maspero أن القصة بحذافيرها قصة مختلقة ابتدعها كهنة خنوم فى المنطقة لاستدرار عطف الملوك البطالمة، بعد أن طغت عليهم شهرة معبد المعبودة " إيسة " الذى أقيم عن قرب منهم فى جزيرة فيلاى، وانصرفت إليه هدايا الملوك وقرابينهم. ووجهة أخرى ارتأى أصحابها ومنهم "كورت زيته" K.Seth أن للقصة أصلا قديماً وأن الأسلوب الذى كتبت به فى عصر البطالمة لا يخلو من تعبيرات ترجع إلى عصر الدولة القديمة ذاتها، وأنه يحتمل لذلك أن كان للقصة متن قديم مكتوب على الحجر أو غير الحجر، ولكنه تعرض للتلف بمرور الزمن فلما زار أحد الملوك البطالمة المنطقة وهو فيما يعتقد "زيته" "بطلميوس العاشر" "سوتر الثانى"، قص الكهان عليه القصة كاملة، فأمر بنقشها من جديد، وتجديد معبد خنوم فى جزيرة سهيل، وتنفيذ ما جاء فى القصة لصالحه وصالح معبده. ولا يزال هذا التفسير هو التفسير المقبول حتى الآن"[177].

"السنة الثامنة عشرة من عهد "حور" "نثرخت"[178] ملك الوجه القبلى والوجه البحرى صاحب السيدتين "نثر خت" "حور الذهبى" "جسر" عندما كان متسلطاً، الأمير النبيل حاكم أملاك الجنوب، ورئيس النوبيين فى إلفنتين "ميسر"، وقد خبر أن هذا المرسوم الملكى لأجل أن تكون على علم بأننى كنت فى حزن على عرشى العظيم، وأن أولئك الذين كانوا فى قصرى كانوا فى أسى وقلبى كان فى غم شديد لأن الفيضان لم يأت فى ميقاته مدة سبع سنوات[179]، فكانت الغلة قليلة، وكل انسان كان مصاباً فى دخله وأصبح الفرد غير قادر على المشى، وكان الطفل يبكى، والشاب أصابه الوهن، وقلوب المسنين فى حزن فكانت أرجلهم مطوية قعوداً على الأرض فى داخلها، و"حى" رجال البلاط كانوا فى حاجة، وكانت المعابد موصدة، والمحاريب عليها تراب، (وبالاختصار) كان جميع ما هو كائن فى حزن"[180]. مما ترك أثره بالسلب على اقتصاد البلاد واستقرارها.

ثم نجد الملك بعد ذلك أراد أن يتحرى الأصول والاسباب لما لحق ببلده من خراب فاستدعى رئيس الكهنة المرتلين "إيموحتب"، وطلب إليه أن يتعرف على منبع النهر والمعبود الذى يجمع ماءه فاختلى "إيموحتب" بمخطوطاته، وعاد إلى الفرعون يخبره بأن ثمة قرية تسيطر على النهر والنبع تسمى "آبو"، تعتبر بداية البداية وحاضرة الإقليم الأول، وعندها يوجد المنبعان اللذان يصدر عنهما كل خير، وهى المهد الذى ينشأ

---

[177] Vandier, op. cit., 35 f; 132 f

عبدالعزيز صالح: المرجع السابق، ٣١٣؛ سليم حسن: المرجع السابق، ١٨٧.

[178] يرى Palanque أن نقوش جزيرة سهيل يرجع تاريخها إلى العام الثالث من عصر الملك "زوسر" أول ملوك الأسرة الثالثة، وليست لها علاقة بالعصر البطلمى.

Palanque, op. cit., 23.

[179] Barguet, op. cit., 37.

[180] Ibid., 14-16; Palanque, op. cit., 24.

سليم حسن: مصر القديمة، جـ١٦، ١٨٩.

الفيضان عنده ويتجمع[١٨١]، ولما سمع "زوسر" هذه الفتوى سارع بتقديم الأضاحى والقرابين لأرباب وربات "آبو" وهى منطقة "أسوان" الحالية وإن اقتصر اسمها بعد ذلك على جزيرة أسوان، غير أنه لما جن الليل عليه رأى المعبود "خنوم" فيما يرى النائم يحدثه جهرة ويقول له[١٨٢]: *"أنا خنوم خالقك، أنا من يرسل يديه وراءك لأكفل لك التأييد وأهب بدنك العافية، أنا الذى أوجدت اليابسة، ووهبتك أحجار الجرانيت منذ القدم، فشاد الناس بها المعابد وجددوا بها المتهدم، أنا "نون" العظيم الموجود منذ الأزل، أنا الفيضان الذى يرتفع حيث شاء"*. ولما أفاق الفرعون من رؤياه، آمن أن صاحب السيطرة فى منطقة "آبو" هو "خنوم" دون غيره واعتزم أن يوقف خيرات المنطقة لصالحه، وأن يجعل لمعبده الحق فى تحصيل ضريبة العشر من صيد السمك والطيور وأعمال المحاجر، والمتاجر المارة بالمنطقة وأصدر مرسوماً خاصاً خاطب فيه خنوم قائلاً: *"جعلت حدك الغربى جبال مانون، وحدك الشرقى جبال بخت، من آبو إلى "المحرقة" اثنى عشر فرسخا، بما فى ذلك الضفة الشرقية والغربية من أراضى الزراعة ودروب الصحراء ومجرى النهر، وكل مكان يقع فى دائرة الفراسخ المذكورة آنفا..."*[١٨٣].

ويرى Barguet أن الكلام عن المجاعات التى استمرت سبع سنوات من عهد "جسر" لا أساس له من الصحة ومن الصعب قبوله؛ ويعزو ذلك إلى أن متوسط ارتفاع النيل بلغ فى عصر الملك "زوسر" أكثر من مترين[١٨٤]. كما أنه من الصعب قبول أن هذا النقش الذى كتب فى عهد الملك "بطلميوس الخامس" فى القرن الثانى ق. م. أى بعد عهد الملك "جسر" بأكثر من ألفين وخمسمائة سنة، منقول من وثائق ترجع إلى عهد الملك "جسر"[١٨٥].

ومع نهايات الأسرة الخامسة بدت مصر -والعالم القديم- مقبلة على مرحلة تطورات مناخية جديدة تمثلت بانتهاء فترة الهولوسين المطيرة وبداية لعصر الجفاف والتصحر حيث قلت الأمطار التى أدت بدورها إلى قلة متوسط تصرف النيل[١٨٦]، وهو الأمر، الذى كان له أكبر الأثر ليس على اقتصاد مصر فقط بل امتد ليشمل أنحاء متفرقة من الشرق القديم، كما كان له أثر كارثى تمثل فى تحطم الكثير من الكيانات السياسية وزوالها سواء فى بلاد النهرين (دولة الأكاديين) ومدن الساحل الشرقى للمتوسط مثل أوجاريت وبعلبك، ومدن كثيرة فى سوريا وفلسطين، كما انتهى عصر البرونز القديم

---

[181] Barguet, op. cit., 18-26.

عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٣١٣.

[182] Barguet, op. cit., 26-38.

[183] Barguet, op. cit., 28-33.

عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٣١٣؛ سليم حسن: مصر القديمة، جـ١٦، ١٩٤.

[184] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٥٣.

[185] Barguet, op. cit., 37.

[186] Nadine Moeller, The First Intermediate Period: A Time of Famine and Climate Change? Ägypten und Levante XV (2005), 155; B. Bell, The Dark Ages in Ancient History, I. The First Dark Age in Egypt, AJA 75 (1971), 1-26

بكارثة فى غرب الأناضول (بوغاز كوى). وهى تُعد من أسوأ المصائب التى تعرض لها الشرق الأدنى[187].

أما فى مصر فقد كان الأثر واضحا فى ذبول الحياة الحيوانية والنباتية، وتمثل هذا فى اختفاء الفيل والزراف ووحيد القرن وبعض أنواع الغزال أهمها غزال الجرنوك؟ كما هلك أكثر الأسد والخروف البرى. أو بمعنى آخر كانت نهاية الأسرة الخامسة المصرية مؤشراً لنهاية الكثير من حيوانات السفانا التى كانت تعج بها الصحارى المصرية[188] (شكل ١٣)-والتى كان يظهر الكثير منها فى مقابر هذه الفترة مثل مقبرة "بتاح حوتب"فى سقارة (شكل ١٤)- وخير دليل على ذلك أن قلت مناظر الحيوانات فى مقابر الأسرة السادسة[189].

كما كان أثر توقف الأمطار واضحا فى الحياة النباتية التى تحولت إلى سهول قاحلة. وخير دليل على ذلك اختفاء الكثير من معالم الصحراء الحيوانية والنباتية فى رسومات – أو تصاوير- المقابر المصرية بعد عصر الأسرة الخامسة[190]. هذا إلى جانب هجرة سكان الصحارى إلى وادى النيل بهدف الاستقرار فيه كما جاء فى نقوش الأسرتين الخامسة والسادسة. كما أن شبح المجاعة كان على ما يبدو مخيماً على مصر منذ نهاية أمطار فترة الهولوسين، وخير دليل على ذلك النقش الموجود – لأول مرة - لأناس يبدو عليهم الهزال منهوكى القوى بارزى العظام يكادون يهلكون جوعا على إحدى الممرات التى تؤدى إلى غرفة الدفن لهرم "ونيس"آخر ملوك الأسرة الخامسة[191](شكل ١٥).

عصر الانتقال الأول:

أما الأثر الأعظم لانخفاض منسوب مياه النيل فى مصر فقد كان كارثياً تمثل فى نهاية الأسرة السادسة وسقوط الدولة القديمة - سقوطاً مدويا - وبداية ما عرف فى التاريخ المصرى القديم بعصر الاضمحلال الأول، وهى فترة ليست بالقصيرة، ربما امتدت لأكثر من مائتى عام، فيها تقلب النيل تقلباً شديداً وانخفض فى أولها وأخرها انخفاضاً كبيراً، ولسنوات طويلة متعاقبة أدت إلى حالة من الفوضى الشاملة وتفكك النظام، وإلى تحطم قاعدة البلاد اقتصاديا، وإلى الانهيار التام فى كل مؤسسات الدولة[192]، وهذا يعنى أننا أمام كارثة قومية بكل المقاييس على نطاق عظيم.

---

[187] Ibid, 153-154.

[188] K. W. Butzer, Environment and Human ecology in Egypt during Predynastic and Early Dynastic times Bulletin Societé Geographique d' Egypte. 32 (1959), 43.

[189] J. Boessneck, Die Tierwelt des alten Aegypten, C. H. Beck, Munich, 1988, ; V. Täkholm, Ancient Egypt, Landscape, Flora and agriculture. In: The Nile: Biology of an Ancient River, W. Junk, The Hague, 1976, 51-68.

[190] V. Täkholm, Students Flora of Egypt, Cairo, 1956, Beirut, 1974,

[191] É. Drioton, Une Représentation de La Famine., BIE XXV (1942-1943), Le Caire, 45 f.

[192] Nadine Moeller, op. cit., 153-167; B. Bell, AJA 75 (1971), 1-26; Id., AJA 79 (1975), 223-269.

وتشير العديد من النصوص التى يرجع تاريخها إلى الفترة الأولى من عصر الانتقال الأول إلى وقوع مجاعات فى مصر العليا[193] أهمها: النص الشهير للأمير "عنخ تيفى" أمير مقاطعة هيراكونبوليس وادفو على جدران مقبرته فى "المعلا" جنوبى الأقصر، وهو حاكم من حكام هذا الإقليم. حيث نجده يذكر فى نقوش مقبرته "عن ادعاءات عريضة عن أثره فى أحداث عهده، وهى أحداث لا ندرى تحديد عصرها للأسف، وإن كانت سبقت التنافس الحربى بين طيبة وأهناسيا أم تخللته، ومهد فيها لأثره فى منطقته بأن مرت عليها أيام ملك الناس فيها جوعاً "حتى فارق كل أب أولاده" على حد قوله، فلما ولى أمرها وما حولها عاونه ربه "حور" رب إدفو على توطيد الأمن فى أرضه حتى أصبح الرجل يقابل قاتل أبيه وأخيه فيعانقه وينسى ثأره عنده"[194].

ويُعتبر نص "عنخ تيفى" أحد نصين عرفا فى التاريخ المصرى القديم فيهما ذكر لأكل لحوم البشر جاء فيه: "مصر العليا كلها تموت من الجوع لدرجة أن الكثيرين اضطروا لأكل أطفالهم، ولكنى تمكنت من أن لا يموت من الجوع أحد فى إمارتى، وقد قدمت – أقرضت - القمح لمصر العليا ..كما أبقيت على بيت الفانتين سليماً خلال هذه السنوات بعد أن أشبعت حاجة مدن حفات (المعلا حالياً)... كل البلاد كانت كالجرادة (؟) الجائعة والناس هائمون يذهبون إلى الشمال وإلى الجنوب (للبحث عن القمح) ولكنى لم أسمح لسكان إمارتى بالذهاب إلى إمارة أخرى"[195].

ثم نجد إشارة أخرى للمجاعة أو على الأقل انخفاض منسوب الماء وقع فى عصر الأسرة التاسعة "عصر الانتقال الأول" بمقبرة "خيتى" بأسيوط حيث يصف حالة البلاد عندما مات حاكم الإقليم وهو جده، ويذكر كيف أنه تولى حكم الإقليم وهو لا يزال صغيراً ووصف أنه تربية ملوك ثم يذكر ما فعله من أجل مواجهة القحط فى الإقليم قائلاً: "أردت أن أهدى إلى هذه المدينة ... فأمرت بحفر ترعة "عرضها" عشرة أذرع.. وحافظت على مياه المدينة، وأجريت أجورا "عينة من الحبوب" على السقاءين ليتولوا توزيع الماء حين الظهيرة ... ورفعت الماء إلى الأرض العالية، وحفرت نبعا فى الجبل الذى عز عليه الماء، وضمنت الحدود "الزراعية"...، ورفعت ماء النيل فوق علامات الحدود القديمة، حتى اكتفى كل مزارع بحاجته من الماء، وحصل كل مواطن على "نصيبه من" ماء النيل وفق هواه. "وكما أرضيت الجار" سقيت جارة، ليصبح على وفاق معه. كانت لدى غلال كثيرة، وعندما شحت أقوات البلاد أغدقت "على" مدينتى أرادب وكيلات "أو خاو وحقاوت على حد تعبيره"، وسمحت لكل مواطن بأن يأخذ نصيبه ونصيب زوجته، أعطيت منها الأرمل وولدها. وتجاوزت عن الضرائب التى سنها آبائى، وملأت المراعى بالماشية وأصبح لكل إنسان نصيبه من ألوان "النعم"... وكنت عطوفا على البقر إذا ...أسنت؟"[196].

---

[193] J. Vandier, op. cit., 1936, 35.

[194] عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٤٠٦.

[195] Vandier, La Tombe d' Ankhtifi à Moc'alla, 9 f; Vandier, La Famine, 38.
رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦٠.

[196] عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٤٠٥ – ٤٠٦.

وفى نص آخر من نفس الفترة لشخص آخر ذكره "رشدى سعيد" باسم "نهيرى أو نحرى" Neheri يذكر فيه أنه "حفظ (أطعم) بلده" فى السنوات التى انخفض فيها النيل، وأعطاها عندما "لم يكن بها شىء" ومد يد المساعدة إليها "دون أن يُفرق بين الكبير والصغير"[197]. وإلى جانب هذه النصوص الصريحة فى وصف الحالة المأساوية التى وصلت لها مصر فى الفترة الأولى لهذا العصر، يمكن من خلال عدد لا بأس به من نصوص الفترة الثانية لهذا العصر قراءة أحوال مصر مثل انخفاض النيل واشتداد الجفاف وكثرة الزوابع الرملية وتكوم الرمال على جانبى وادى النيل وخاصة على الجانب الغربى[198].

ويعتبر نص الحكيم المصرى "إيبوور" وما ذكره فى نصائحه من أهم نصوص هذا العصر، فقد ذكر فيه حالة الفوضى والسلب والنهب التى عمت البلاد وروح الثورة والغضب التى كانت سائدة آنذاك، مما قد يؤخذ دليلاً قوياً ما أحدثه نقصان تصرف منسوب ماء النيل من كارثة حلت بمصر. يقول النص " ... إن سكان الدلتا يحملون الدروع ورجال الصحراء أصبحوا مصريين وفى كل مكان... والسلب والنهب يعم البلاد... والفقير يأخذ ما يجده فى طريقه...صحيح أن النهر يجرى ولكن أحدا لا يزرع وكل واحد يقول "ماذا سيحدث فى الغد"[199].

وتجدر الإشارة إلى أن أثر توقف الأمطار لم يقتصر على ذبول الحياة الحيوانية والنباتية فى مصر آنذاك بل تعداه إلى الفن المصري القديم، فمنذ أواخر عصر الدولة القديمة وخلال عصر الانتقال الأول حدث تطور هام في الفنون نتيجة لتدهور الأحوال السياسية في البلاد واندلاع الثورة الاجتماعية وسوء الأحوال الاقتصادية. التى نتج عنها فقدان الأعمال الفنية في تلك الفترة لطابعها الملكى. وأخذت تتسم بسمات شعبية واضحة لها مزايا الفن الشعبي، ونقائصه، فأخذت النقوش الجدارية الباهظة التكاليف تقل شيئا فشيئا لتحل محلها نماذج خشبية، وقد شمل فن النماذج الخشبية في هذه الفترة كل مظاهر الحياة[200]. ونتيجة لانهيار وحدة البلاد فى عصر الانتقال الأول وضعف شأن ملوكه وقلة إمكانياته المادية؛ تأثر الفن في هذه الفترة بتلك الأوضاع، فنحتت أغلب التماثيل من الخشب لرخصه وسهولة نحته وهي تماثيل صغيرة نسبيا تتصف بالخشونة في صناعتها وتميل إلى الاستطالة والنحافة[201].

الدولة الوسطى:

ويبدو أن الحال فى مصر فى الفترة الأولى من الأسرة الحادية عشرة لم تكن أحسن حالا، إذ تحدثنا نصوص هذه الفترة عن انخفاض فيضان النيل واشتداد الجفاف وكثرة

---

[197] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦٠.

[198] المرجع نفسه، ١٦٠-١٦١.

[199] عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ٣٩٣- ٣٩٨؛ سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠، ٤٠١-٤٠٦؛ ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع: محمد بيومى مهران: الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفراعنة، مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، ١٩٩٩.

[200] عبد المنعم عبد الحليم سيد: حضارة مصر الفرعونية، الإسكندرية ٢٠٠٠، ٣٥٨-٣٩٢.

[201] عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ١٧٠.

الزوابع وإخفاق المحاصيل مما قد يؤخذ دليلاً على شظف العيش وضيقه[٢٠٢]. وزاد الأمر سوءا فى أواخر حكم هذه الأسرة بحدوث مجاعة وصلت إلى حد أن الناس قد أكل بعضهم بعضا، وقد عرفنا هذا من خلال رسائل *"حقا نخت"*[٢٠٣]، وهو يعتبر من أبرز شخصيات نهاية الأسرة الحادية عشرة عهد الملك "سنخ رع منتوحتب". وتعتبر رسائل "حقا نخت" أبسط وأصدق صورة صورها المصرى بنفسه عن حياته الريفية بكل ما فيها من محاسن ومساوئ فنجد فى الخطاب الثانى لـ "حقا نخت"[٢٠٤] محدثاً أمه فقال فيه" *كيف أنت؟ لا تقلقى على فأنى حى وفى صحة جيدة ولكن البلد يموت جوعاً لقد حصلت لك على كل ما استطعت الحصول عليه من الغذاء*". ثم يستكمل الخطاب وقد كان النيل فى الشتاء الماضى منخفضاً جداً حتى إن الحقول قد انتابها القحط ولم تنتج محصولاً، هذا إلى أن المخزون من العام الماضي قد نفذ وحل القحط بالبلاد إثر محصول ضئيل ولكن "حقا نخت" كان فى حالة هادئة[٢٠٥] فقد كتب :-

"اعلموا أنكم كرجل كاف فيما سلف قد أكل حتى الشبع ولكنه أصبح ذا مسغبة حتى أنه يغمض عينه والبلاد كلها تموت جوعاً، لقد وصلت هنا فى الجنوب وقد جمعت لكم كل ما يمكن من طعام أليس النيل منخفضاً ؟ والطعام الذى جمعته لكم يتفق مع حالة الفيضان، فعليكم بالصبر أنتم يا من ذكرت باسم لأنكم تردون أنى كنت قادراً على إطعامكم إلى هذا اليوم". وعند هذه النقطة يقدم لنا قائمة بأسماء الأفراد الذين تتألف منهم أسرته ويحدد النصيب الذى يستحقه كل واحد منهم من الطعام الذى يرسله ثم يستأنف الكلام قائلاً : "ويجب عليكم ألا تغضبوا لما يحدث إذ الواقع أن البيت كله بما فيه من أطفال عبء على وكل شئ ملكى، وأن عيشة التقشف خير من الموت كلية والإنسان لا يمكنه أن يتكلم عن القحط إلا إذا كان هناك قحط وعلى أية حال فإن الناس قد بدءوا يأكلون الرجال والنساء! ولا يوجد فى أى مكان آخر أناس يقدم لهم طعام كهذا، ويجب أن تعيشوا حتى عودتى"[٢٠٦].

ويعتبر نص "حقا نخت" النص الثاني الذى يذكر فيه حالة أكل لحوم البشر.

وبعد فترة القحط فى عهد "سنخ رع منتوحتب" استمرت فى عهد خليفته الملك "نب تاوى رع منتوحتب" حيث جاء النيل منخفضاً فى بعض السنين فاشتدت المجاعة وأدت إلى ثورة فقد فيها الملك عرشه وخلفه عليه وزيره (أمنمحات الأول) وبذلك انتهت الأسرة الحادية عشرة وبدأت الأسرة الثانية عشرة[٢٠٧].

كما نجد أيضاً إشارة لوجود قحط أو مجاعة أشارت *إليها نبوءة "نفرو رهو"* حيث وصف حالة البلاد فى تلك الفترة، وقد عثر "جولينشف" على هذه البردية، وهى

---

[202] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦١.

[203] Nadine Moeller, op. cit., 166; and see: J. P. Allen, The Heqanakht Papyri, New York, 2002, 127 ff

[204] Nadine Moeller, op. cit., II, 26-28, 135.

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الرسائل راجع: سليم حسن: مصر القديمة، ج ٣، ١١٢-١٢٤؛ رمضان عبده على السيد: تاريخ مصر القديمة (منذ أقدم العصور وحتي نهاية عصر الانتقال الثاني)، ج ١، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب (١٦)،القاهرة، ١٩٨٨، ٢٥٥.

[205] سليم حسن: المرجع السابق، ١١٦-١١٧.

[206] سليم حسن: المرجع السابق، ١١٧.

[207] رمضان عبده على السيد: المرجع السابق، ٢٥٧.

تحتوى على نبوءات كاهن مرتل "نفرو رهو" حيث يدعى أنها ألقيت فى حضرة الملك "سنفرو" وبالرغم من أنها تعتبر إحدى الدعايا السياسية للملك "أمنمحات" لكننا نستشف من خلالها وصف حالة البلاد فى بداية النبوءة أن فترة قحط مرت بالبلاد حيث نجده يصف حالة البلاد أثناء القحط[208] على النحو التالى:" *لقد أصبحت تلك البلاد خرابا فلا من يهتم بها، ولا من يتكلم عنها، ولا من يذرف الدمع، فأية حال تلك التى عليها البلاد؟ لقد حجبت الشمس فلا تضئ حتى يبصر الناس، وقد كان من نتيجة تعطيل أعمال الرى العظيمة العامة أن أصبح نيل مصر جافا فيمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم، وصار الإنسان عندما يريد أن يبحث عن ماء "يعنى النهر" لتجرى عليه السفن وجد طريقة قد صار شاطئا، والشاطئ صار ماء، وكل طيب قد اختفى وصارت البلاد طريحة الشقاء بسبب طعام البدو والذين يغزون البلاد، وظهر الأعداء فى مصر فانحدر الأسيويون إلى مصر... وسأريك البلاد وهى مغزوة تتألم، وقد حدث فى البلاد ما لم يحدث قط من قبل... فالرجل يجلس فى عقر داره موليا ظهره عندما يكون الآخر يذبح بجواره ... سأريك الابن صار مثل العدو، والأخ صار خصما، والرجل يذبح والده، وكل فم ملؤه أحبينى "صياح المتكفف ؟ " وكل الأشياء الطيبة قد ذهبت، والبلاد تحتضر ... وأملاك الرجل تغتصب منه، وتعطى الأجنبى... وسأريك أن الملك صار فى حاجة، والأجنبى فى غنى ..... وأن الأرض قد نقصت، وقد تضاعف حكامها، وصارت الحياة شحيحة مع أن المكيال صار كبيراً، وتكال الحبوب "أى بجبابى الضرائب" حتى يطفح الكيل سأريك البلاد، وقد صارت مغزوة تتألم، وإن منطقة "عين شمس" لن تصير بعد مكان ولادة كل إله*"[209].

أما فى فترة الانتقال الثانية، فقد أشار نص عثر عليه فى "الكاب" شمال إدفو، ويرجع تاريخه إلى عام ١٧٤٠ق.م.إلى وقوع مجاعة تعرضت لها مصر؛ ونظراً لأنها المجاعة الوحيدة المذكورة فى هذه الفترة؛ يُرجح البعض أنها المجاعة الشهيرة التى جاء ذكرها فى الكتب السماوية على أيام يوسف الصديق عليه السلام. وفيها أن مصر تعرضت لكارثة المجاعة؛ إذ مرت بسبع سنوات عجاف أفقرت المصريين واضطرتهم إلى بيع أراضيهم وماشيتهم بل وأجسامهم حتى يعيشوا. ويُرجح أنها حدثت عندما كان ملوك الهكسوس يحكمون مصر، والذى أنقذهم يوسف عليه السلام من آثار مجاعة[210]. وقد عاد منسوب ماء النيل إلى الارتفاع والثبات طيلة أيام الدولة الحديثة حتى أواخر عصر الملك "رمسيس الثانى"[211].

---

[208] سليم حسن: المرجع السابق، ١٧١-١٧٣.

[209] المرجع نفسه، ١٧٣-١٧٤.

[210] Vandier, La Famine dans l'Égypte ancienne, 35; B. Bell, Climate and the History of Egypt, The Middle Kingdom, AJA 79 (1975), 223-269.

[211] رشدى سعيد: المرجع السابق، ١٦٨، ١٧٠.

خاتمة البحث:

بناءً على ما سبق يتضح التالى:

- أدى النيل دورا هاما ورئيسيا فى تاريخ مصر واعتمدت عليه حياتها واقتصادها كله، فمن النصوص العديدة اتضح أن أحوالها كانت تصح فى السنوات التى كان يرتفع فيها ارتفاعاً مناسباً لكى يغرق الأراضى لمدة مناسبة فى وقت معين من السنة، كما كانت أحوالها تسوء عندما يقل الماء عنها. ومن ثم كانت قراءة أحوال مصر بمثابة قراءة لتقلبات النهر مابين الزيادة والانخفاض، وهو ما يرسخ لدينا تلك القناعة بالدور الحيوى بل الاستراتيجي للنهر الخالد.
- لوحظ أن آلام الأمة كانت تقل وقت الحكومات الحسنة التى كانت تكون مخزوناً من فائض الحبوب فى الأعوام الطيبة لاستخدامه وقت الأعوام السيئة. وأن الآلام كانت تزيد وقت الحكومات الرديئة أو عندما يمتد زمن الفيضانات المنخفضة لسنوات طويلة ومتتابعة.
- ومن خلال النصوص التى استشف منها الباحث حدوث فترات قحط ومجاعة، وقلة فيضان النيل نصل إلى نتيجة وهو أن فيضان النيل سلاح ذو حدين قاصما إن أتى عالياً جارفاً يغرق ويدمر كل ما يعترضه، وإن أتى قليلا فإنه يُسبب القحط والمجاعات ولكن الغالب على فيضان نيلنا هو الفيضان المعتدل الذى يجلب الخير والرخاء معه إلى كل أرجاء البلاد.
- ليس من شك فى فضل النيل فما أفاء به على أرض مصر من رى دائم وخصب متجدد وفيما كفله لأهله من سهولة الأسفار والاتصالات وفيما أتاحه لهم من فرص التعاون والتجمع على ضفافه.
- احتل النيل المكان اللائق فى وجدان المصريين ووعيهم فكان محوراً لآدابهم وفنونهم وأساطيرهم ودياناتهم. كما أدى دوراً هاماً فى حثهم على الابتكار والتفوق فى علوم الزراعة والرى والفلك والحساب والهندسة والمساحة وغيرها من العلوم.
- قام النيل بالدور الأهم فى توحيد مصر، فقد أملت الحاجة إلى التحكم فى مياه النهر وحسن استخدامها إلى نشأة الدولة المركزية.
- أثر كلا من النيل وفيضانه على كل أوجه نشاط وتفكير المصرى القديم سواء كان دينيا أو دنيويا. ومن أثر ذلك أن جعل المصريون من النيل واحدا من بين آلهته العظمى وقد لقبوه في بعض أناشيدهم بأبى الآلهة.
- كان فيضان النيل بالنسبة للمصرى القديم مصدراً لكل خصوبة وحياة على أرضه ومصدر كل الثروة والخير الذى يعيش عليه، فلا يكاد يخلو أى وجه من أوجه المصرى القديم من تأثر للنيل وفيضانه لذلك فليس من الغريب فى أن يسيطر على تفكيرهم ويساعد إلى حد كبير فى تشكيل معتقداتهم الدينية والأخروية؛ فالفيضان كان بلا شك يبعث على السعادة ليس فى قلوب البشر ولكن فى قلوب المعبودات والآلهة المختلفة وذلك لاعتماد ما يقدم إليها من قرابين على منتجات هذا الفيضان. فليس هناك أفضل عند المتوفى من أن يشبه نفسه بإله الفيضان، لكى يعود إلى الحياة مرة أخرى مثلما يحدث مع الفيضان الذى يختفى ثم يعود للظهور، ولذلك عندما أراد المصرى القديم تصوير معبوده كانت الفكرة الأولى التى قفزت إلى

مخيلته هى وظيفته وهى إحضار الفيضان أو التسبب فى حدوثه والفيضان بالنسبة للمصرى القديم كان بمثابة مصدر الخصوبة المتجددة الأول الذى لاحظه.

- أراد المصرى القديم عند تشكيل هيئة معبوده أن توحى بفكرة الخصوبة؛ لذلك فقد صوروه فى نقوشهم وتماثيلهم فى شكل مزدوج الجنس يجمع بين الذكر والأنثى فى آن واحد، وهما الصفتان اللازمتان لاستمرار الحياة وتجددها فكأنه تجدد من تلقاء نفسه وهى الصفة المميزة للنيل وفيضانه.
- كان الهدف أو الفكرة من وراء تصوير المصرى القديم لهيئة حعبى بهذه الصورة الغريبة مرتبطاً بفكرة الخصوبة الفطرية والتغذية التى كان يرجوها من وراء فيضانه السنوى ومن الملاحظ أن كل الهيئات التى اختصت بالتغذية وتقدمة القرابين قد اتخذت هيئة مشابهة تماما لـ " حعبى.
- يعتبر النيل بحق هو العصب الحساس، العصب الحائر، العصب المتوتر فى جسم مصر، فهو الذى يمد مصر بأرضها ومائها الذى تحيا به، وبدونه وفيضانه تجف أرض مصر وأصبحت ترابا تذروه الرياح.
- لا شك أن النيل كان ومازال له أكبر الأثر فى حياة المصريين بل لولاه لما وجدت مصر بتاريخها وحضارتها ولا وجد المصريون الذين عمروا فى هذا الوادى لآلاف طويلة من السنين.
- إن مصر الزراعية المتحضرة كانت ثمرة من ثمرات الجهد المصرى الأصيل ، كما كانت هبة من هبات النيل الكريم فى آن واحد، وليس كما قال "هيرودوت" فى عبارته المبتورة.
- ن هذا النهر وفيضانه السنوى هو بلا جدال عامل الحياة الأوحد فى مصر؛ عليه يتوقف كيانها إلى أجزاء وبه تتصل حياتها، فلولا هذا النهر وفيضانه لأصبحت مصر جزءا من الصحراء الكبرى الممتدة بطول شمال افريقيا.
- كان موسم الفيضان يزيل معظم الفوارق بين أرض الوادى التى يسودها النظام وتفعمها الحياة وبين الصحراء وما تثيره فى نفسه من مخاوف فكان المصرى يعيش فى فزع دائم من احتمال عدم تجدد الفيضان او شحه مما يعرض البلاد للمجاعة وما يتلوها من تدهور وتفكك اجتماعى وهلاك الحرث والنسل وبالفعل إذا نظرنا إلى التاريخ المصرى القديم فإننا نجد صوراً من مختلف العصور التى تتحدث عن المجاعة. وعلى العكس من ذلك فيمكن أن يأتى شديداً جارفاً.فيكون نذير دمار وخراب، وإن كان مبشراً بمحصول فوق العادة فى نفس العام، وذلك على الرغم من محاولاتهم منذ القدم كسر حدة هذا الفيضان الجارف عن طريق إقامة السدود وشق الترع لتصريفه. فقد أصبحوا مع مرور الوقت يقدرون جوانب نفعه أكثر مما يتهيبون مظاهر جبروته، وعرفوا أن مميزاته تفوق بعدة مراحل الضرر الذى يمكن أن يتسبب فيه.
- يعتبر الفن انعكاسا لحالة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فإذا ما كان الفيضان عاليا يظهر على الفن وجماله مثلما نرى فى فن الدولة الوسطى، فقد ظهر فيه حلاوة التعبير وصفاء الملامح، كما اتخذت المياه فى هذا العصر رمزا للثراء والغنى، وكذلك اتخذت رمزاً إلى وحدة البلاد؛ ولذلك ظهر حابي بكثرة على جانبي

كرسي العرش لملوك هذه الأسرة، مما يدل على أنه ملك البلاد كلها. واهتمام ملوك الأسرة الثانية عشرة بالفيوم يدل على عناية تلك الأسرة بمسألة من أهم المسائل الحيوية لمصر وهي الانتفاع بمياه النيل ومحاولة زيادة رقعة الأراضي الزراعية.

- والعكس إذا ما كان منخفضا فينتج عنه فقدان الأعمال الفنية في هذه الفترة أو تلك لطابعها مثلما حدث أواخر عصر الدولة القديمة وخلال عصر الانتقال الأول من فقدان الأعمال الفنية لطابعها الملكى، وأخذت تتسم بسمات شعبية واضحة لها مزايا الفن الشعبي، ونقائصه فأخذت النقوش الجدارية الباهظة التكاليف تقل شينا فشينا لتحل محلها نماذج خشبية. ونُحتت أغلب التماثيل من الخشب لرخصه وسهولة نحته وهي تماثيل صغيرة نسبيا تتصف بالخشونة في صناعتها وتميل إلى الاستطالة والنحافة.
- أما الأثر الأكبر لانخفاض منسوب المياه في مصر فقد كان كارثيا تمثل في نهاية الأسرة السادسة وسقوط الدولة القديمة وبداية عصر الاضمحلال الأول، وهي فترة ليست بالقصيرة ربما امتدت لأكثر من مائتي عام وانخفض فيها النيل انخفاضا كبيرا ولسنوات طويلة متعاقبة أدت إلى حالة من الفوضى الشاملة وتفكك النظام والى تحطيم قاعدة البلاد اقتصاديا والى الانهيار التام في كل مؤسسات الدولة.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١. إبراهيم رزقانه: الجغرافيا التاريخية والطبيعية، القاهرة، ١٩٨٧.
٢. إبراهيم رزقانه وآخرون: حضارة مصر والشرق القديم، القاهرة، د. ت.
٣. أبو اليسر فرج: النيل فى المصادر الإغريقية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٥.
٤. أحمد فخرى: مصر الفرعونية، ط ٥، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١.
٥. جمال حمدان: شخصية مصر (دراسة في عبقرية المكان)،القاهرة، ١٩٨٥.
٦. جوده فتحى التركمانى: الجغرافيا العامة أصول ومبادئ، القاهرة، ٢٠٠٠-٢٠٠١.
٧. حمدى أبو كيلة: النيل والمصريون دراسة فى التأثير المتبادل، الكتاب الأول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦.
٨. رحاب عبد المنعم عبد الصمد: القمر فى مصر القديمة منذ أقدم العصور وحتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير - غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.
٩. رشدي سعيد: نهر النيل (نشأته واستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل)، ط ٢، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٣.
١٠. رمضان عبده على السيد: تاريخ مصر القديمة (منذ أقدم العصور وحتى نهاية عصر الانتقال الثاني)، ج ١، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب (١٦)،القاهرة، ١٩٨٨.
١١. سليم حسن: أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى، القاهرة، ١٩٤٤، ٤٢.
١٢. ــــــــ: مصر القديمة، جـ١، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠.
١٣. ــــــــ: مصر القديمة، جـ٣ ، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠.
١٤. ــــــــ: مصر القديمة، جـ١٦، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠.
١٥. سليمان حزين: تاريخ الحضارة المصرية، م ١، (العصر الفرعونى)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.
١٦. عبدالحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠١.
١٧. ــــــــ: الديانة المصرية القديمة، جـ ١، المعبودات، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٩.
١٨. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩.
١٩. ــــــــ: حضارة مصر القديمة وآثارها.الجزء الأول، ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢.
٢٠. عبد العزيز فهمى صادق: الموسوعة المصرية (تاريخ مصر القديمة وآثارها)، المجلد الأول،١٩٧٣،١.
٢١. عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصرى القديم، القاهرة، ١٩٤٠.
٢٢. عيد عبدالعزيز عبدالمقصود: رمزية المياه في تماثيل الدولة الوسطى، كتاب مؤتمر الفيوم الخامس،"النيل ومصادر المياه فى مصر عبر العصور" الفيوم، ٢٠٠٥،

٢٣.محمد السيد حسون: المعبود مين ودوره فى العقائد المصرية حتى نهاية الدولة الحديثة (رسالة دكتوراه - غير منشورة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٩.
٢٤. محمد السيد عبد الحميد: الأعياد المصرية القديمة عند هيرودوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة هوية المكان (١٠)، القاهرة، ٢٠١٠.
٢٥. محمد بيومى مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ١، الإسكندرية، ١٩٨٨.
٢٦. ـــــــــــ: الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة، مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.
٢٧. محمد عبدالرحمن الشرقاوى: المطر فى الفكر المصرى القديم، مجلة كلية الآداب جامعة المنوفية، فبراير ٢٠٠٥، ٣-٣٩.
٢٨. محمد محمود الصياد: النيل الخالد، المكتبة الثقافية (٥٣)، وزارة الثقافة والإرشاد القومى الإدارة الثقافية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢.
٢٩.مختار السويفى: مصر والنيل ، ط ٣، القاهرة، ١٩٩٦.
٣٠. مختار محمد محمد: المعبود حعبى (فى الديانة المصرية القديمة)، رسالة ماجستير - غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.
٣١. نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٤، القاهرة،١٩٧٥.
٣٢. وفاء محمد حسن: المياه فى الحياة اليومية فى مصر القديمة منذ أقدم العصور وحتى نهاية الدولة الوسطى، رسالة ماجستير - غير منشورة، كلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.

ثانياً: المراجع المعربة:

٣٣.إرمان. أ: ديانة مصر القديمة (نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة، ترجمه وراجعه: عبدالمنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، د. ت.
٣٤.إرمان. إ، رانكه. هـ.: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، محرم كمال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.
٣٥.بريستد. جيمس هنرى: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، مراجعة عمر الاسكندرى، على أدهم، سلسلة الألف كتاب (١٠٨)، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٠.
٣٦. ـــــــــــ: تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى العصر الفارسى، ترجمة: حسن كمال، مراجعة محمد حسنين الغمراوى، ط ٢، سلسلة الألف كتاب الثانى(٢٦٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
٣٧.بوزنر. ج وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، مراجعة: سيد توفيق، القاهرة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٦، ٣٤٤.
٣٨.تشرنى. ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدرى، مراجعة محمود ماهر، سلسلة الثقافة الأثرية، مشروع المائة كتاب الأثرى (٦)، القاهرة، ١٩٨٧.
٣٩.جريمال. نيقولا: تاريخ مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتى، مراجعة زكية طبوزاده، ط ٢، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣.
٤٠.دريوتون. إ، فانديه. ج: مصر، عربه: عباس بيومى، راجعه محمد شفيق غربال، عبدالحميد الدواخلى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت.

٤١.دوماس. ف، حضارة مصر الفرعونية، ترجمة: ماهر جويجاتى، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة (٤٨)، القاهرة، ١٩٩٨.
٤٢.كلارك. راندل: الرمز والأسطورة فى مصر القديمة، ترجمة احمد صليحة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.
٤٣.لويس. نفتالى: الحياة فى مصر فى العصر الرومانى، ترجمة آمال الروبى، القاهرة، ١٩٩٧.
٤٤.ويلسون. ج: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري ، القاهرة، ١٩٥٥.
٤٥.هيرودوت: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجم الأحاديث عن الإغريقية محمد صقر خفاجة، قدم لها وتولى شرحها أحمد بدوى، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1. Allen. J. P., The Heqanakht Papyri, New York, 2002.
2. Assman. J., Nil hymnus, in: LÄ IV, 489-496.
3. Baines, Fecundity Figures, London, 1985.
4. Ball. J., Contributions to the Geography of Egypt, Survey of Egypt, Cairo, 1952.
5. --------., Semna Cataract, Journal Quarterly Geological Society, 59 (1903), 65-79.
6. Barguet. P., La stèle de la famine, À Séhel, BIFAO 24 (1953), 9-39.
7. Beckrath. J. von., The Nile Level Records at Karnak and their importance for the History of the Libyan Period (Dynasties XXII and XXIII), JARCE 5 (1966), 43-55.
8. Bell. B., The Dark Ages in Ancient History, I. The First Dark Age in Egypt, AJA 75 (1971), 1-26.
9. --------., Climate and the History of Egypt, The Middle Kingdom, AJA 79 (1975), 223-269.
10. Boessneck. J., Die Tierwelt des alten Aegypten, C. H. Beck, Munich, 1988.
11. Borchardt. L., Altägyptische Nil Messer und Nilstandsmarken, 1906.
12. Breasted. J. H, Ancient Records of Egypt, Chicago, 1906, 57 – 72.
13. Brugsch. H., Dictionnaire Géographique de la Ancien Egypt, Leipzig, 1879.
14. Budge. W., The Rosetta Stone in the British Museum, London, 1929.

15.----------., The Nile (Dates for Travelers in Egypt, 8ed, London.
16. Butzer. K. W., Environment and Human ecology in Egypt during Predynastic and Early Dynastic times, Bulletin Societé Geographique d' Egypte, 32 (1959).
17.----------., Early Hydraulic Civilization in Egypt "A study in Cultural Ecology", Chicago, 1976.
18.----------., the Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, VII, Cairo, 2001.
19.----------.,"Nil, LÄ IV, 482.
20. Caminos. R. A., Nilöpfer, LÄ IV, 498-500.
21. Daressy. J., une Inundation a Thèbes sous le Règne d'Osorkon II, Rec.Trav.18, 181.
22. De Buck, on the Meaning of the Name hcpy, Orientalia Nearlandica (1948), 1-22.
23. De Kurth, Nilgott, LÄ IV, 486-490.
24. Derchain. Ph., Les Pleurs d'Isis et la Crue du Nil, Chronique D'Égypte XLV no 89 (1970), 282-284;
25. Dreyer. G., Katarak, LÄ III, 356-59.
26. Drioton. É., Une Représentation de La Famine sur un Bas - relief Égyptien de la VE Dynastie, BIE XXV (1942-1943), Le Caire, 45-54.
27.----------., Les Fetes Egyptiennes, Le Caire, 1944.
28. El-Sawi. A., The Nile-God. An unusual Representation in the Temple of Sety I at Abydos, EVO 6 (1983), 7-13.
29. Erman. A., Wie heßt der Nil, ZÄS 44 (1907), 140-141.
30.----------., life in Ancient Egypt, Trans. by Tirard, M., New York (1987), 425ff.
31. Faulkner. R. O., Dictionary Of Middle Egyptian, Press (1962), 14.
32. Foster. j. R., " Thought Completes in Khety's " Hymm to the inundation, JNES 34 (1935), 21.
33.----------., Hymn to the inundation Four Hieratic Ostraca, JNES 32 (1975), 301.
34. Frankfort. H., Kingship and the Gods, Chicago, 1968.

35. Gardiner. A., The Egyptian Name of the Nil, ZÄS 45 (1908), 114-115.
36. Griffiths. J. G., Hecataeus and Herodotus on "A Gift of The River", in: JNES XXV (1966), 57-61.
37. Habachi. L., A High Inundation in the Temple of Amenre at Karnak in the 13th dynasty, Studien Zur Altägyptischen Kultur (1) Hamburg, 1974, 207-214.
38. Heidel. W. A., Hecataeus& the Egyptian Priests in H. Book II, Memoirs of the American Academy of the Arts & Sciences Vol. XVIII, part 2, Boston 1935, p. 113 ff.
39. Helck. W., LÄ VI , 652-653.
40. Jaritz. H. & Bietak. M., Zweierlei Pegeleichungen zum Messen der Nilfluthöhen im Alten Ägypten Äuntersuchung Zum Neuenldeckten Nilometer des Chnum – Tempels von Elephantine (Strabon, XVII. I. 48), MDAIAK 33 (1977), p. 47-62.
41. Jéquier. G., Nilomètres sous L'Ancien Empire, BIFAO V (1906), 63-64.
42. Jong. W. J., De Nijl en de god Hapi, De Ibis, Amsterdam 17 (1992), 83-86.
43. Junker. H., Das Göterdekert uber das Abaton, 1913.
44. Kees. H., Ancient Egypt a Cultural Topography, edited by James (T. G. H.), London, 1961.
45. Leclant. J., recherchés sur les monuments Thébains de la XXVe dynastie dite Ethiopienne, 1965.
46. Legrain. G., Les Crues du Nil depuis Sheshonq I jusqu' á Pasmetik, ZÄS 34 (1896), p. 119-121.
47. Leibóvitech, Gods of Agriculture an Welfare in Ancient Egypt, JNES 12 (1953), 73-113.
48. Lindsay, book 1 "The River Vanquished", London 1937.
49. Ludwig. E, the Nile in Egypt." The life –Story of a River" Trans. By M. H.
50. Maspero. J., Histoire ancienne des Peuples de L'Orient Classique, T. I, Paris, 1953.

51. Moeller. N, The First Intermediate Period: A Time of Famine and Climate Change? Ägypten und Levante XV (2005), 153-167.
52. Moret. A., Le Nil et la Civilisation Egyptienne, Paris, 1926.
53. Palanque. C., Le Nil A L'Époque Son Rôle et son Culte en Égypte, Paris, 1903.
54. Pasha. V., Crues modernes et Crues anciennes du Nil, ZÄS 34 (1896), 95-107.
55. Pécoil. J. F., Les Sources Mythiques du Nil et Le Cycle la Crue, Société D'Égyptologie 17 (1993), 97-110.
56. Said. R., The River Nile Geology, Hydrology and Utilization, Oxford 1993.
57. Schaefer. H., altägyptischer Annalen (Abh. D. Kgl. Preuss. Akad. Dcr Wissenschaften, 1902.
58. Schenkel. W., " überschwemmung ", LÄ VI, 833-33.
59. Serrano. A. J., La piedra De Palermo: Traduccion y Contextualizacion Historica BAH, ne1, 2004.
60. Täkholm. V., Students Flora of Egypt, Cairo, 1956, Beirut, 1974.
61. ----------., Ancient Egypt, Landscape, Flora and agriculture. In: The Nile: Biology of an Ancient River, W. Junk, The Hague, 1976.
62. Toussoun. O., Anciennes Branches du Nil, I, Epoque Ancienne, Le Caire, 1922.
63. ----------., L' Histoire du Nil, T, I, de Mémoires T. 8, Le Caire, 1925.
64. Vandier. J., La Famine dans l'Égypte ancienne, Le Caire, 1936.
65. ----------., La Tombe d' Ankhtifi à Moc'alla, Comptes rendus de l' Acad. Des Inscrip. Et Belles lettres, 1947.
66. Vercoutter. J., Excavations at Mirrgissa-II (October 1963-March 1964), Kush 13 (1965), 62-73.
67. Willcocks. W., Egyptian Irrigation, 2ed, London, 1899.
68. Wilkinson. R., The Complete Gods and Goddesses of Ancient Egypt, Fribourg Suisse-Göttingen, 1994.
69. White, Ancient Egypt, London, 1992.

List of Abbreviations

AJA	American Journal of Archeology
ÄL	Ägypten und Levante
BIE	Bibliothèque Égyptologie
BIFAO	Bulletin de l' Institut Français d' Archéologie Orientale, Le Caire
BSGE	Bulletin Societé Géographique d' Egypte
CDE	Chronique d'Égypte
JARCE	Journal of the American Research Center in Egypt
JQGS	Journal Quarterly Geological Society
JNES	Journal of Near Eastern Studies, Chicago
Kush	Kush
LÄ	Lexikon der Ägyptologie
MDAIAK	Mitteillungen des Deutschen Archäologischen Instituts, Abteilung Kairo
MAAAS	Memoirs of the American Academy of the Arts & Sciences
ON	Orientalia Nearlandica
PSBA	Proceedings of the Society of Biblical Archaeology
RdÉ	Revue d' Égyptologie
Rec Trav	Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l' Archéologie Égyptiennes et Assyriennes, Paris
SaK	Studien Zur altägyptischen Kultur
ZÄS	Zeitschrift für Ägptische Sprache orts – und Altertumskunde, Leipzig, Berlin

شكل (١)

أقدم خريطة لنهر النيل لبطلميوس ١٥٠ م ويظهر فيها النيل من المنبع حتى المصب

مختار السويفى: مصر والنيل، القاهرة، ١٩٦٦.

شكل (٢)
هيئة إله النيل "حابى"
مختار السويفى: مصر والنيل، القاهرة، ١٩٦٦.

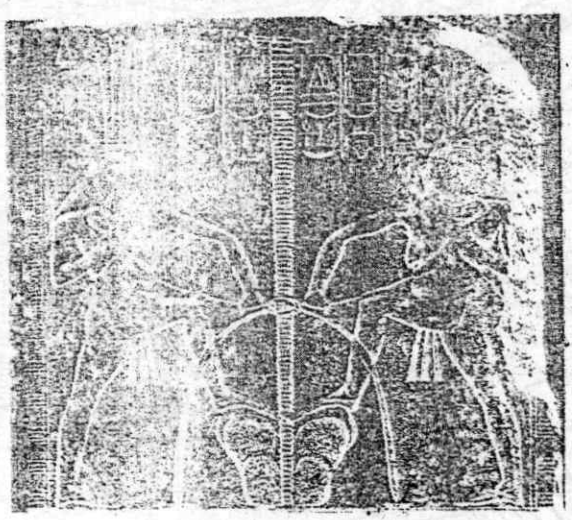

شكل (٣)
حابى الشمال والجنوب يقومان بعملية الوحدة " السماتاوى"

شكل (٤)
نقش من مقصورة "أوزير" بمعبد فيلة لـ " إيزيس"
حيث إله النيل يقوم بعملية الفيضان من إنا فى يده ، ومن إحدى ثدييه
" عصر يونانى رومانى "
رندل كلارك: الرمز والأسطورة فى مصر القديمة، شكل رقم (١٤).

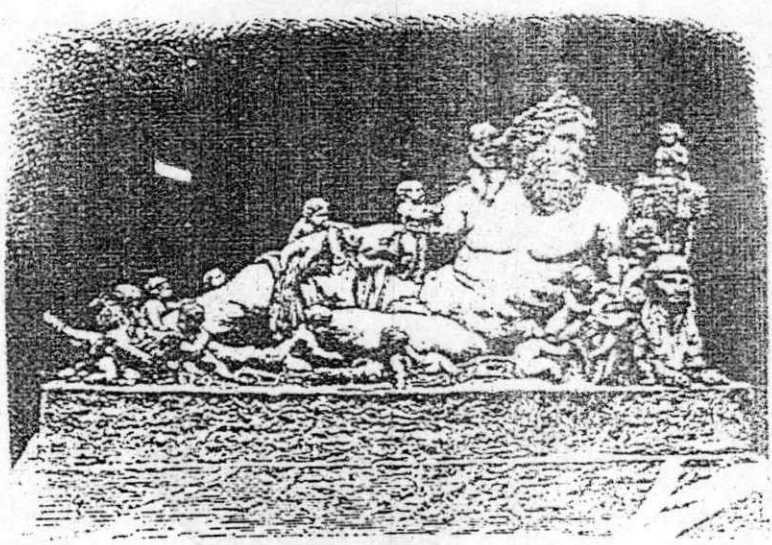

شكل (٥)
تمثال لإله النيل فى العصر اليونانى الرومانى مضجعا وحوله ستة عشر طفلاً
أبو اليسر فرج: النيل فى المصادر الإغريقية، ٦٥.

شكل (٦)
تخيل المصرى القديم عن منابع النهر من جزيرة فيلة
– العصر اليونانى الرومانى
أبو اليسر فرج: النيل فى المصادر الإغريقية، ٥٩.

شكل (٧)
حجر بالرمو
أحمد فخرى: مصر الفرعونية، ١٩٩ شكل (١٢).

الأســـــــرة الأولى					
اســـم الملك	عام الحـــكم	منسوب الفيضـــان			
		ذراع	شبر	فيضان	أصبع
مفقود	الأول	٦	-	-	-
	الثانى	-	-	-	-
	الثالث	٤	-	١	-
	الرابع	-	-	-	-
	الخامس	٥	-	٥	١
	السادس	٥	-	١	-
	السابع	٥	-	-	-
	الثامن	٦	-	١	-
	التاسع	٤	١	-	-
مفقود	الأول	٤	-	١	٢
	الثانى	٤	١	-	-
	الثالث	٨	-	-	٣
	الرابع	٣	١	-	-
	الخامس	٥	-	٢	-
	السادس	٥	-	١	٢
	السابع	٤	-	٢	-
	الثامن	٢	-	-	-
	التاسع	٥	-	-	-
	العاشر	٤	١	-	-
	الحادى عشر	٦	-	١	٢
	الثانى عشر	٢	١	-	-
	الثالث عشر	٣	-	٥	٢

الأسرة الثانية "					
اســـم الملك	عام الحـــكم	منسوب الفيضـــان			
		ذراع	شبر	فيضان	أصبع
	الأول إلى السادس مفقود				
	السابع	٣	-	٤	٢
	الثامن	٤	-	-	٢
	التاسع	٤	-	١	٢
	العاشر	٤	-	٤	-
	الحادى عشر	٣	-	٤	٢
	الثانى عشر	٤	-	-	٣
	الثالث عشر	٤	-	-	٣ ٠
	الرابع عشر	١	-	-	-
	الخامس عشر	٣	-	٤	٣
	السادس عشر	٣	-	٥	٢
	السابع عشر	٢	-	-	٢
	الثامن عشر	٢	-	-	٢

	التاسع عشر	٣	-	-	-
	العشرون والحادى	-	-	-	-
	والعشرون مفقود	-	-	-	-
مفقود	الثانى عشر	٢	-	٤	١,٥
	الثالث عشر	٢	-	٣	١
	الرابع عشر	٣	-	-	-
	الخامس عشر	١	-	٦	٢,٥
	السادس عشر	٤	-	٢	٢
	السابع عشر	٤	-	٢	-
	الثامن عشر	-	-	-	-

اسم الملك	عام الحكم	منسوب الفيضان			
		ذراع	شبر	فيضان	اصبع
مفقود	الأول	٤	-	٢	٢
	الثانى	٤	-	١	-
	الثالث	٢	-	٣	٢,٧٥
	الرابع	٣	-	٣	٢
	الخامس	٣	-	-	-

الأسرة الثالثة

سنفرو	الأول		-	-	-
	الثانى	٢	-	-	٢
	الثالث	٥	-	١	١
	الرابع	٢	-	٢	٢
	الخامس	-	-	-	-

الأسرة الرابعة

شبسسكاف	الأول	٤	-	٣	٢,٥

الأسرة الخامسة

اوسر كاف	الأول – الرابع (مفقود)	-	-	-	-
	الخامس	٤	-	-	٢,٥
	السادس	-	-	-	-
سا حورع	الأول إلى الرابع (مفقود)	-	-	-	-
	الخامس	٢	-	-	٢,٢٥
	السادس	-	-	-	-
نفر ايرکارع	الأول	٣	-	-	

شكل (٨)
جدول بمناسيب فيضان النيل من حجر بالرمو

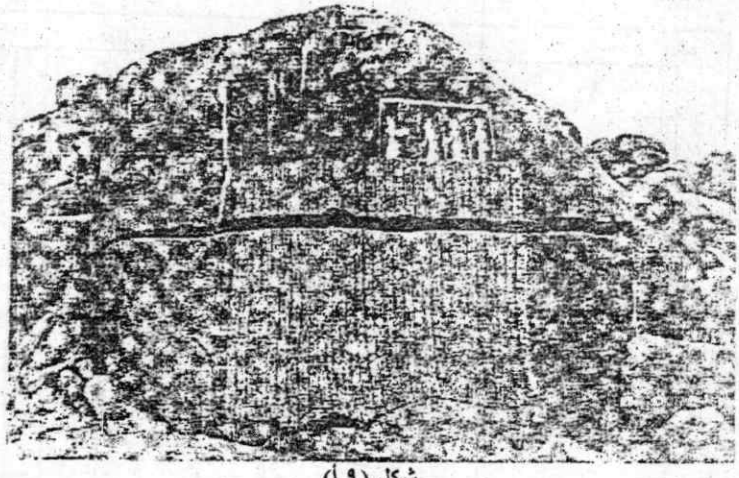

شكل (٩ أ)
لوحة المجاعة بجزيرة سُهيل

شكل (٩ ب)
تفصيل للوحة المجاعة بجزيرة سُهيل

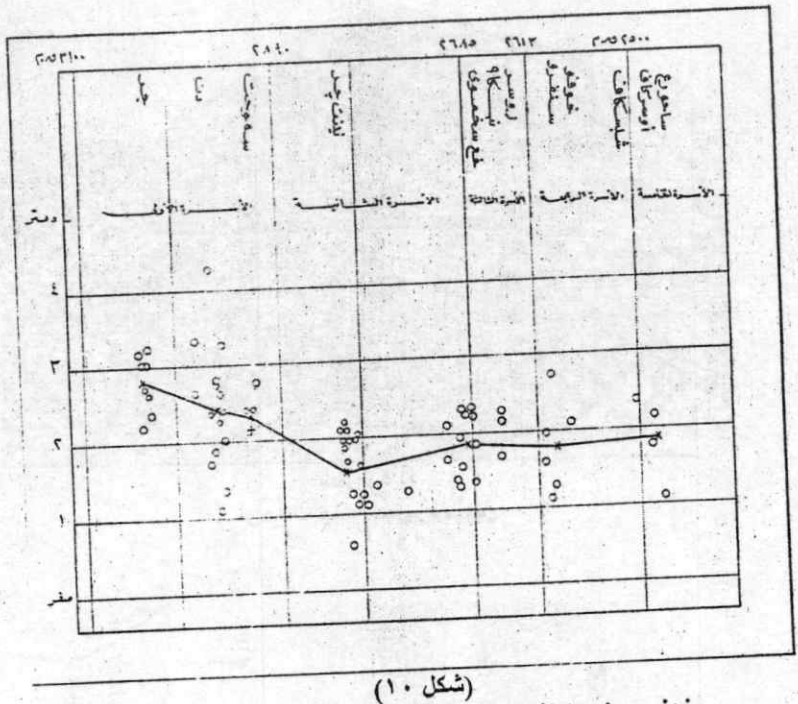

(شكل ١٠)
منحنى يوضح ارتفاع مناسيب النيل كما جاءت فى حجر باليرمو
رشدى سعيد: ١٥٤ (الشكل ٢-١٣)

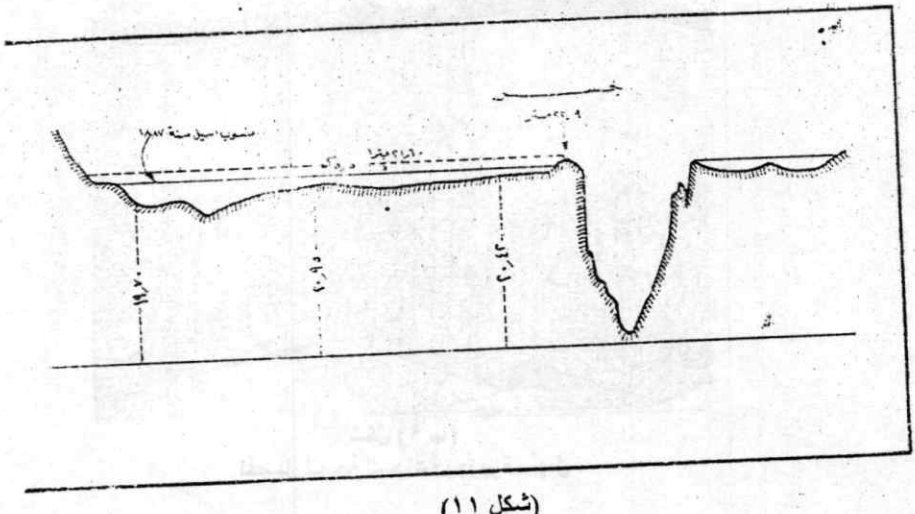

(شكل ١١)
مقطع عرضى للنيل عند حوض سقارة
رشدى سعيد: ١٥٦ (الشكل ٢-١٥)

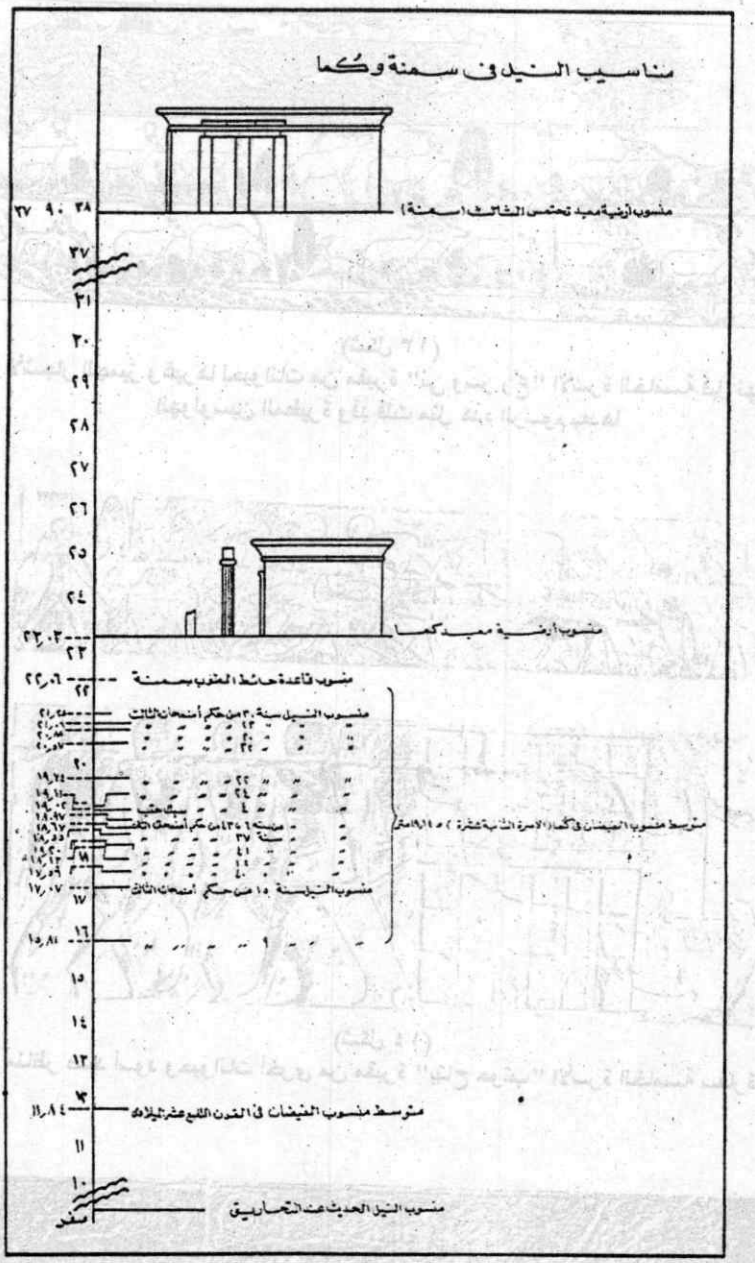

(شكل ١٢)
مناسيب النيل فى سمنة وكما من عصر الدولة الوسطى
رشدى سعيد: ١٦٣ (الشكل ٢-٢٠)

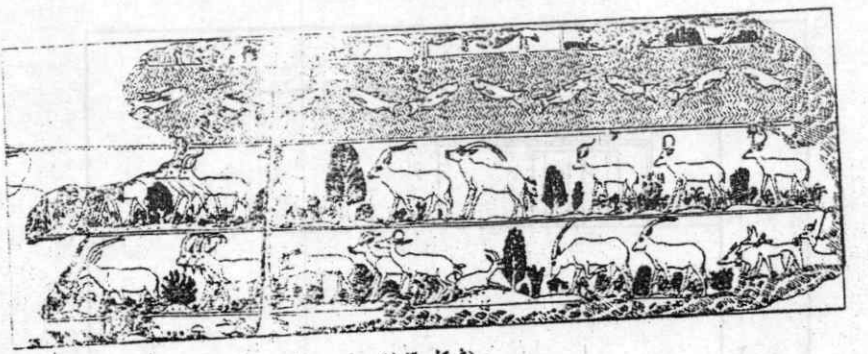

(شكل ١٣)
مناظر لأشجار الجميز وغيرها لحيوانات من مقبرة "نى وسر رع" الأسرة الخامسة قبل نهاية فترة الهولوسين المطيرة وقد قلت مثل هذه الرسوم بعدها

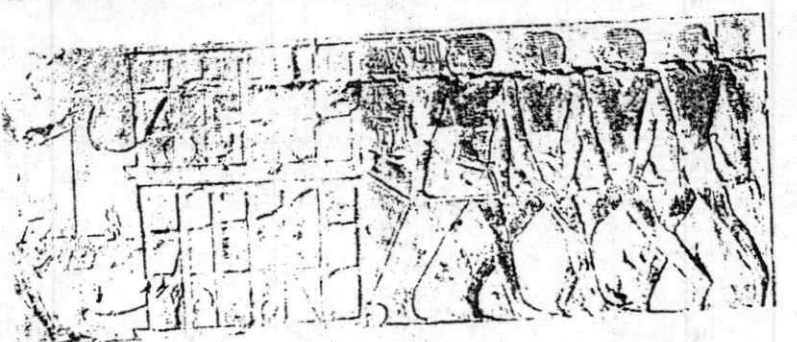

(شكل ١٤)
مناظر صيد أسود وحيوانات أخرى من مقبرة "بتاح حوتب" الأسرة الخامسة سقارة

(شكل ١٥)
منظر لجوعى من ممر هرم الملك "رنيس"